

جوهرا الاسلام

العدد 10/9 - السنة 21
1444 هـ / 2022 م

الثلث 5 د.ت - 5 أورو



جواهر الإسلام

ديسمبر 2022

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

العنوان	*8 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الإلكتروني الموقع الإلكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	*10000211110000238106
ISSN	*330-4957

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في



12 نهج الخيرية - 1002 تونس البلفيدير
البريد الإلكتروني sotepagraphic@yahoo.fr

الاشترك للأفراد	الاشترك بتونس	الاشترك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

المحتوى

- 6 الافتتاحية : في استقبال سنة وتوديع أخرى
رئيس التحرير
- 8 وفاء لجوهر الإسلام وتحية عصماء في عامها الرابع والخمسين
الأستاذ صالح العود / فرنسا
- 10 تفسير آيات من القرآن الكريم
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- 13 عولمة الحرب وعالمية السلام والمقتضيات والشراكات
العلامة الشيخ عبد الله بن بية
- 19 أثر المذهب الأشعري في المجتمع التونسي
أ.د. أبو لبابة حسين
- 27 بناء الأمة
المفكر الهندي أ.د. وحيد الدين خان
- 29 في رياض السنة
الحديث الثاني والعشرون من الأربعين النووية ما يدخل الجنة ...
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
- 35 إستعادة المسلمين لمجدهم وقوتهم رهين بمدى إلزامهم بترسم خطى
نبيهم الكريم ﷺ
فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب
- 41 الدكتور سعيد شيبان في ذمة الله (2022 / 1925)
محمد صلاح الدين المستاوي
- 42 وفضل الله من طه علينا بلا عدد ولا يحصى حسابا
شعر الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة

- 44..... متدى الشاذلية في تونس بمناسبة ختام الموسم سنة 1444 هجرية
الأستاذ عبد الهادي لهنر كامب
- 55..... مفاهيم إسلامية زوال الحياء بداية الطامة ونذير الخراب
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- 58..... درس من فم العصفور
الأستاذ إبراهيم الرسو
- 60..... الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله كما عرفته
الأستاذ أحمد المناعي
- 65..... قراءة كتاب الشفا للقاضي عياض بمرکز التربية الإسلامية في باريس
الأستاذ صالح العود / فرنسا
- 67..... وثيقة القاهرة لتعزيز ثقافة الاجتهاد
- 72..... إعلان مراكش للملتقى الروحي الدولي الثاني لمولاي علي الشريف
- البيان الختامي للمؤتمر الخامس والثلاثين للسيرة النبوية المشرفة ومؤتمر هيئة علماء المسلمين
- 75.....
- 80..... رابطة بني العباس في موريتانيا تكريم مشكور
- 81..... البيان الختامي للملتقى التاسع لمتدى أبوظبي للسلم
- 88..... في ساحة الذكر: أنت صوفي؟!
دكتور سيد مندور
- 90..... في وداع فضيلة الشيخ عثمان بطيخ رحمه الله
محمد صالح الدين المستاوي
- 92..... خطبة الجمعة
- 97..... يسألونك قل
الشيخ محمد الحبيب النفطي
- 99..... المصباح المنير
صالح الحاجرة

الافتتاحية:

في استقبال سنة وتوديع أخرى جوهري الإسلام ماضية في خطها القويم دعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر لسماحة الإسلام ومميزات شريعته

بهذا العدد 9/10 من السنة 21 تنهي مجلة جوهري الإسلام سنتها الخامسة من سلسلة إصدارها الجديدة.

هاهي ذا خمس مجلدات حافلة بعديد الدراسات والبحوث العلمية في شتى أبواب العلوم والثقافة العربية الإسلامية تضاف إلى المجلدات الستة عشر التي سبق ان صدرت منذ تأسيسها سنة 1968 الى سنة احتجاجها الاضطراري سنة 1986.

وهذا الرصيد الثري الحافل بمادة علمية متنوعة هي اليوم بين ايدي الدارسين والباحثين ومن يعدون الاطروحات الجامعية في تونس وخارجها (وقد سبق ان اعدت جوهري الاسلام فهرسا لمحتويات سنواتها الستة عشر الأولى سيتبعه بإذن الله فهرس السنوات الخمسة الأخيرة).

وجوهري الإسلام وهي تنهياً لدخول سنتها السادسة الجديدة تعول على عون الله وتوفيقه ثم على تشجيع قرائها الذين يتابعون مسيرتها المسددة والذين لم يتأخروا عن التعبير عن مشاعرهم نحوها وتمنياتهم لها بأن تواصل الصدور في نفس الخط والمنهج الذي سارت عليه منذ ان صدر أول عدد منها قبل نصف قرن من عمر الزمان وذلك هو ما تحرص عليه وتمضي فيه رغم الصعوبات الجمة التي تعترض سبيلها وسبيل كل ما شابهها من الإصدارات الورقية (كتباً ودوريات ومجلات فضلاً عن الصحف والجرائد اليومية والاسبوعية والتي نشهد بكل حسرة توقفها الواحدة تلو الأخرى).

وقد بادرت جوهري الاسلام إلى إضافة الإصدار الالكتروني متيحة لقرائها في مختلف ارجاء المعمورة فرصة الاستفادة من مضامينها على أوسع نطاق (وموقع جوهري الاسلام الالكتروني) يتضمن اعداد السنوات الخمسة الماضية وان شاء الله تنهياً الظروف والإمكانات المادية والبشرية لنشر كل أعداد جوهري الإسلام منذ تأسيسها وما ذلك على الله بعزير نسأله التيسير والعون انه على كل شيء قدير.

وقد تشرفت جوهري الإسلام بتعميم الإفادة بفكر وعلم صفوة علماء الامة ومفكرها من تونس ومن كل البلاد العربية والإسلامية وبلدان المجتمعات المسلمة لتكون منبرا لدراساتهم وبحوثهم ودليلاً وموجهاً للمسلمين حيثما كانوا يميزون به بين الغث والسمين وبين الخالص وما تشوبه الشوائب. بالإضافة إلى توثيق نصوص البيانات والمواثيق الصادرة عن المنتديات والملتقيات والمؤتمرات التي توالى انعقادها طيلة السنوات الماضية والتي تمثل بحق خرائط طريق للعاملين في الحقل الإسلامي (باحثين ودارسين وموجهين ومرشدين ومربين) وفي هذا العدد نصوص لاخر ما صدر منها (في القاهرة ونواكشوط ومراكش وابوظبي..).

وذلك لعمرى عمل ينبغي ان يحتل الأولوية لدى كل وسائط التبليغ والتواصل في هذه المرحلة الدقيقة والحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية والتي يتعرض فيها الإسلام إلى التشويه بما يلصق به

من دس وشبهات واهية والتي لا يمكن مقارعتها الا بالحجة والبرهان ولن تعدم الامة - بفضل الله ومنه - من مؤهلين للقيام بذلك وان كانوا قلة (والكرام قليل) وذلك داخل ولا شك ضمن عهد من الله سابقى تردد في العديد من آيات الكتاب العزيز مثل قوله جل من قائل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وهذا الهدى القويم جسمه في حيز الواقع من ختم الله به النبوة والرسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين و للناس كافة يثيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وجعله القدوة للامة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ولم يخل والحمد لله عدد من أعداد جوهر الإسلام منذ تأسيسها وإلى الآن من مساهمة متواضعة (هي واجبة) في التعريف بسيرته العطرة وخصائصه وشمائله الكريمة عليه الصلاة والسلام ويبقى ذلك غير موف لحقه على أمته وعلى أهل الذكر منهم بالخصوص من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام وهم من أمرنا الله بسؤالهم حين قال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والذين عليهم قبل سواهم واجب تبليغ هديه عليه السلام على أصح الوجوه وأجملها عملا بقوله جل من قائل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وكم تكون هذه الدعوة مسددة عندما تكون دعوة حال لا دعوة مقال (وشتان بين الدعوتين) ويكون التوفيق حليف الدعوة إلى الله على بصيرة كما جاء في قوله تعالى ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ وقوله جل من قائل ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

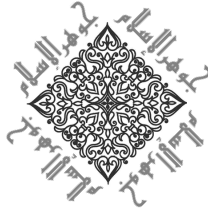
ان فاقد الشيء لا يعطيه وصدق من قال :

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءٍ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ
وَنُورُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِعَاصِي

وجوهر الإسلام وهي تنهي ستنها الحادية والعشرين وتنهاي لدخول ستنها الثانية والعشرين تعد قراءها بان تواصل السير في خطها الذي رسمه لها مؤسسها الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله الذي أرادها ان تكون (وستظل كذلك باذن الله) عملا صالحا خالصا لوجه الله لانه لا يدوم ولا يتصل الا ما كان لله لا تشوبه اية شائبة.

وستنشر جوهر الاسلام باذن الله في اعدادها القادمة المادة العلمية التي تتوصل بها من الباحثين والدارسين الذين سيواكبون الاحتفاليات التي ستقام بمناسبة ماوية الشيخ المؤسس الحبيب المستاوي رحمه الله (2023/1923) وماوية فضيلة الشيخ محمد الحبيب بلخوجة رحمه الله (2023/1922) وذكرى مرور خمسين سنة على وفاة عميد اسرة جوهر الإسلام وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله (2023/1973) فهؤلاء الشيوخ البررة من اعلام الزيتونة هم واخوة افضى اغلبهم إلى ربه عليه منهم الرحمة والرضوان هم من كانوا نجوما في سماء تونس يشعون عليها وعلى ما حولها مشرقا ومغربا بعلمهم المدقق المحقق وبتحريرهم وتنويرهم وتشرفت ولا تزال جوهر الإسلام بان كانت منبرهم ولسان حالهم ومن حقهم عليها ان تحي ذكراهم وتشر ماعرفوا به من تسامح ووسطية واعتدال واجتهاد هي خصائص شريعة الإسلام التي هي رحمة كلها تعصم المتمسكين بها والمتمثلين لحقائقها حالا ومقالا من كل تعصب وتطرف وإرهاب كما تعصمهم من كل تميغ وتحلل وانحراف وتبعية عمية لمن ليس بين أيديهم هدي هذا الدين الذي اكمله الله واتم به على عباده النعمة ورضيهم لهم دون سواه ديننا مصداقا لقوله جل من قائل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ صدق الله العظيم.

رئيس التحرير



وفاء لجواهر الإسلام وتحية عصماء في عامها الرابع والخمسين

بقلم: الأستاذ صالح العُود / فرنسا

باحث وكاتب

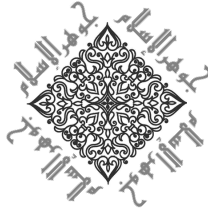
يَشْهَد وَيُشَاهِد معي القراء الكرام، هذا العدد الجميل والجليل، بل الفاخر من كلِّ ما لَدَّ فيه وطاب، للفكر وللنفس (معًا)، من مجلة (جواهر الإسلام) الغراء، والعَصِيَّة على الاختفاء، في ظِلِّ مديرها ورئيس تحريرها (الحالي)، العالم النَّحْوِير، ذي البيان والتحرير: صاحب الفضل والفضيلة — بعد أبيه — : الأستاذ محمد صلاح الدين المُستأوي حفظه الله وأبقاه ذخرا للعلم والعلماء، وهي تدخل عامها (الرابع والخمسين) بامتياز واستحقاق، منذ أن صدرت في شهر ربيع الأوَّل سنة (1387هـ) الموافق لشهر جوان سنة (1968م)، وهي تُشَقُّ عُباب السَّنين الطوال، بلا مَلال ولا إهمال، من مؤسَّسها الباسل من رُؤَاد الإصلاح، في فجر الاستقلال، العلامة الشيخ الحبيب المستأوي، إذ كان عالما من علماء الزيتونة الأبرار والأحرار: في الاستقامة، وجِدِّيَّة الأعمال، على شَكْلِ أولي العزم من الرجال، بلا فتور ولا كلال، المُتوفَّى سنة (1395هـ / 1975م) رحمه الله وطيب ثراه.

إنَّه عُمُر مُعْتَبَر دون شك، عند مَنْ ألقى لها السمع والبصر، وتابع سيرتها ومسيرتها، وما حَمَلَتْ، وأنا منهم، فلا بدَّ إذاً أَنْ نَعْتَبِر.

إن مجلة (جوهر الإسلام)، لمن يعرف التاريخ، التونسية المنشأ والمصدر، قد سبقها في الصدور (مجلات) ذات صبغة ثقافية.. فكرية.. إسلامية.. مثل (مجلة الزيتونة)، و(مجلة شمس الإسلام)، و(مجلة السعادة العظمى)، ولكنها توقفت جميعها بعد حين من صدورها، الواحدة تلو الأخرى، من حيث «الخصوصية» التي منحها الله تعالى إياها، وهي هذه «الاستمرارية» الطويلة والبعيدة، حتى عمّرت ودامت، حتى يومنا هذا، أعني بلا انقطاع أبدي..

إن في (إخلاص) مؤسسها وكذا نجله من بعده، سرّ ربانيّ من أسرار التوفيق، والممدد الإلهي، العصي عن جميع البشر بخيله ورجله، وكذلك (غيرتهما) على الإسلام: بمعالمه وشعائره وشرائعه، فضلا عن (الحب) المتّرع عندهما، في سبيل إشاعة الخير والتعاون، ونشر العلم، والفكر الصائب الهادي، سواء في بلاد تونس الخضراء، بدرجة أولى وأولى، ثم ليمتدّ إشعاعها الوضاء خارج الوطن في مرحلة تالية. وصدق فيما ذهب إليه والحمد لله، قول عملاق الفكر الإسلامي في العصر الحديث: الأستاذ أنور الجندى رحمه الله: «لقد أضاء هذا الرجل (الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله مصباحا كبيرا في أفق كان في حاجة إلى ضياء شديد وبذل من جهده وماله في سبيل اخراج هذه المجلة «جوهر الإسلام» الأنيقة الجامعة التي ترى فيها كتابات من كل آفاق البلاد الإسلامية) انظر جوهر الإسلام - العدد الأول - السنة 8 (1395 هـ / 1976 م).

كتب اهداها مشكورا للمجلة الشيخ الهادي لسود تحمل العناوين الاتية
 * عقيدة اهل السنة والجماعة
 * التصوف السني طريق العارفين ومرام العاشقين
 * المتطرفون والمبتدعون في العالم الإسلامي بين كفتي النقل والعقل
 * وكتاب التوسل
 * بالإضافة الى موسوعة تحمل عنوان الرسائل السنوية في الاعتدال والوسطية)
 ستة مجلدات
 بارك الله في جهود الشيخ الهادي لسود ونفع بها الامة



تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

قال الله تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة البقرة 14-15) صدق الله العظيم

هذه الآية وما بعدها تتعرض إلى تصرفات المنافقين من أهل الكتاب كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنها اذ هم الذين كانوا يفعلون هذه الافعال يجتمعون مع المؤمنين أو يلتقون بهم فيقولون لهم نحن معكم واخوانكم في الايمان بالله ورسوله ثم يرجعون إلى شياطينهم الكبار ورؤسائهم الفجار فيقولون لهم (انا معكم إنما نحن مستهزون) والشياطين كثيرا ما تطلق على شياطين الانس كما تطلق على شياطين الجن واكثر العلماء قد حملها هنا على رؤوس الكفر ممن لهم ادوار شيطانية في مقاومة الدعوة والكيد لها ولصاحبها عليه السلام فاليهم يرجع جميع الكافرين والمنافقين ليعرضوا عليهم اعمالهم وليتزودوا منهم بألوان الكيد والمكر التي منها المخادعة والنفاق، ولهذا سموا تظاهروا بالايان استهزاء وسخرية ولعبا ظنا منهم أن حقيقتهم تخفى على الله الذي تولى المؤمنين فاحياهم وعادى من يعاديهم وهذا الظن وهو محظ مخادعة للنفس لانه لا يستند على ما يدعمه ويقويه ولذلك قال الله تعالى ردا عليهم وفضحا لسرهم ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فاستهزاء الله سبحانه وتعالى بهم هو الانتقام منهم ومعاقبتهم على نفاقهم وعبثهم في

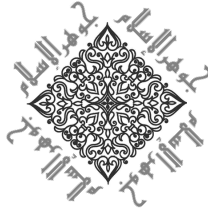
الدنيا والآخرة فهو الذي يسخر بهم لانه المطلع على خفاياهم وهم لا يطلعون ولانه القوي القادر على التأويل والتفسير وهم الضعفاء الفقراء الذين لا يملكون حتى امور أنفسهم ولقد سمى سبحانه وتعالى العقوبة والمجازاة والانتقام باسم الذنب الذي هو هنا السخرية والعبث بالدين واهله فقال يستهزئ عوض يعاقب وهذا وارد كثيرا في كلام العرب وفي القرآن الكريم أيضا فانه من الشائع المشهور أن يذكر اللفظ المجهول ازاء لفظ آخر جوابا له يشمل لفظه ولو كان مخالفا له في المعنى قال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا فاتتقامه هو ممن جهل عليه وحاول العبث بكرامته وهو ليس جهلا وسوء تصرف بل هو الانتصار والاقتصاص والثار للكرامة والعزة لكنه لما ذكر عقب الجهل اعيد لفظه للتناسب وحمل اللفظ الثاني معنى كان في وضعه الأول لا يتحملة على ما يستحق أن يحمل عليه والقرآن الكريم مليء بمثل هذا وفي كل مقام ورد فيه حمل على ما يناسب ذلك المقام ومن امثلة ذلك قوله جل من قائل ﴿فَمَنْ اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ومن الواضح أن ردّ العدوان والقصاص ليس من العدوان وإنما استعير له لفظ العدوان للتناسب ومثله ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ والجزاء ليس سيئة ومنه ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرٌ لِلَّهِ خَيْرٌ لِّلْمَاكِرِينَ﴾ ولن يكون الله ماکرا بالمعنى الأرضي البشري المتضمن للخديعة والجبن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما هو يجازي الماكرين بعذابه وعقابه ومنه أيضا ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وكذلك ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ففي كل ما ورد من مثل هذا يحمل على التناسب اللفظي فقط ويعطى للثاني معناه الحقيقي لا ما يقتضيه اللفظ المستعار له ويشبهه أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعاء والطلب «ان الله لا يمل حتى تملوا ولا يسأم حتى تسأموا» ويمكن أن يحمل محملا آخر غير ما حملت عليه الآيات والأحاديث هو انسب وأليق فيحمل مثلا على يجعل حتى بمعنى الواو ويصبح الكلام هكذا (ان الله لا يمل وتملون ولا يسأم وتسأمون) أو المعنى لا يمل وانتم تملون ولا يسأم وانتم تسأمون (ولقد قيل في تخريج هذه الآية وما يشبهها أن الله سبحانه وتعالى يفعل بالمنافقين والمشركين افعالا تشبه في ظاهرها ما نفعله نحن للهزاء والسخرية والخداع والمكر وقد روي في هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ان النار تجمد كما يجمد (اي اللحم والدسومة) فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتحسف بهم) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠﴾ روي عنه قوله في ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي في الآخرة يفتح لهم باب جهنم من الجنة ثم يقال لهم تعالوا فيقبلون يسبحون في النار والمؤمنون على الآرائك ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم فيضحك المؤمنون عنهم فذلك هو ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وذلك هو قول الله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثَوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقال غير هؤلاء الاستهزاء من الله والخداع هو استدراج أعدائه بنعم الدنيا لانه يظهر لهم الاحسان فيظنون انه راض عنهم مع انه قد قدر عذابهم العظيم في الآخرة فهذا الصنيع في تأملنا البشري يشبه الاستهزاء والمكر والخداع ويدل على هذا الحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم «وإذا رأيتم الله عز وجل يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك منه استدراج» وبهذا يظهر معنى قول الله تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فما المد والارخاء والارجاء في سبيل الطغيان والجبروت وتجاوز الحدود إلا الاستدراج عينه وما المضي مع الاستدراج بدون محاسبة وبغير تأمل إلا العمه الذي هو في اصله الحيرة والتردد ويحمل هنا على ما حملة عليه مجاهد رضي الله عنه من انه العمى عمى البصر والبصيرة حفظنا الله واياكم من عمى الابصار والبصائر

توصلت جوهر الإسلام بالاهداءات الاتية من الأستاذ الدكتور احمد البخاري الشتوي شكر الله له

- 1 - ديوان الشيخ محمد الصالح الشتوي رحمه الله (1922/1971)
 - 2 - مناقب) سيدي ابي سعيد الباجي رضي الله عنه) تحقيق الدكتور احمد البخاري الشتوي
 - 3 - أدوار الإسلام السياسية في المملكة التونسية تأليف محمد بن عثمان السنوسي تحقيق احمد البخاري الشتوي
- وللأستاذ الشتوي كتب أخرى بعضها مطبوع منها كتاب ابن عرفة والمذهب المالكي بافريقية في 14/8هـ باب ترجمة ابن عرفة تعريب لاطروحة الأستاذ سعد غراب رحمه الله).



عولمة الحرب وعالمية السلام المقتضيات والشراكات

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بية

رئيس منتدى أبوظبي لتعزيز السلم

فيسرني أن أرحب بكم اليوم في الملتقى التاسع لمنتدى أبوظبي للسلم والذي نعقده هذا العام تحت شعار «عولمة الحرب وعالمية السلام: المقتضيات والشراكات»، وتسعدنا مشاركتكم جميعاً من مختلف الأديان والعرقيات، ومن مختلف المناطق والقارات. أتيتم جميعاً إلى عاصمة دولتنا أبوظبي من أجل السلام ولتفعيل مبادرات السلام. فمرحبا بكم وبجهودكم الخيرة في خدمة البشرية جمعاء، فأهلاً بكم في بيت السلام والوئام، بيت زايد الخير وأبناء زايد الأماجد.

إننا في منتدى أبوظبي للسلم نسير وفق رؤية القيادة الرشيدة لبلدنا والتي قررت أن يكون شعار هذه المرحلة هو «السلام والتعافي والازدهار» وحسب هذه الرؤية نعمل لحشد الجهود لتعزيز السلم والتعاون على الخير والبر وقول الحسنی للناس أجمعين، برعاية كريمة من سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان -وزير الخارجية والتعاون الدولي.

إن ملتقى هذا العام يأتي في خضم وضع دولي مضطرب يزيد من مستوى التحديات التي تواجه البشرية، فمن تحديات الأزمة الصحية التي لا تزال تلقي بظلالها على أجزاء من العالم إلى تحديات الاقتصاد والتضخم الذي تشهده الأسواق العالمية إلى تحدي الأمن والحروب المشتعلة في مناطق من العالم.

ولقد أكدت الأزمات الراهنة والتوترات الحاصلة أن السلم كل لا يتجزأ وأن أي إخلال به ستنعكس آثاره على البشرية في كل مكان فالحروب في هذا الزمان لا تقف آثارها عند الحدود الجغرافية لميدان المعركة بل تتعدها إلى باقي أصقاع العالم.

كما بينت الحروب الدائرة حالياً في أجزاء من العالم أن شياطين الحروب ما تزال كامنة في النفوس؛ ولذا فإن من مسؤولية القيادات الدينية كما رجال السياسة معالجة هذه الأفكار في النفوس والأذهان قبل أن تخرج إلى العيان.

إن الوعي بهذه الضرورة هو الذي يوجه ملتقانا هذا العام، حيث نستشعر جميعاً الحاجة إلى أن تتكامل أدوارنا، لنسهم في استعادة الضمير الأخلاقي للإنسانية، الذي يعيد الفاعلية لقيم الرحمة والغوث ومعاني التعاون والإحسان.

إننا أمام هذه التحديات الخطرة التي تواجه البشرية نقف متسائلين:

تسائل عن كيفية درء خطر الحروب والنزاعات المسلحة؟

كيف يمكن لسفينة البشرية أن تتفادى جبل الجليد - مثل الذي اصطدمت به سفينة «تيتانيك» - الفرق أننا هذه المرة نعلم بوجود هذا الجبل وندرك أننا للأسف نسير تجاهه وبسرعة فائقة! فهل يمكننا أن نسأل عن الطرق المناسبة لتلافي الاصطدام به؟
تسائل عن دور القيادات الدينية والروحية في الإسهام في مواجهة هذه الأزمات وفي معالجة هذه التحديات.

كيف نصل إلى حلول مبتكرة فيما يخص الغذاء والدواء وخصوصاً توفيرهما للدول النامية؟

كيف نزيد من الوعي في التعامل مع الجائحة الصامتة التي تتطلب تعاوناً دولياً ألا وهي التحديات النفسية التي تحتاج إلى خبرة المتخصصين النفسيين، وعناية القادة الدينيين ورعاية صناعات القرار والمنظمات الدولية.

وكيف يمكن أن نعزز جهود السلام لتصل إلى شرائح واسعة من العالم ويشارك جمهور عريض في أعماله ورفع أعلامه؟ كيف نشرك مختلف شرائح المجتمع في هذا الجهد الجمعي الخير؟

كل هذه الاسئلة الجوهرية والمواضيع الملحة تجعلنا نتطلع باهتمام إلى ما ستقدمونه حولها وتقترحونه فيها من أفكار وتصورات وخطط وخطوات عملية قابلة للتطبيق خلال فعاليات هذا الملتقى المبارك.

إن شعار ملتقى هذا العام هو «عولمة الحرب وعالمية السلام: المقتضيات والشراقات» ونعني بعولمة الحرب ما هو مشاهد من انتشار حروب مستعرة في بقاع شتى من العالم، كما نعني به انتشار وانعكاس آثارها وتداعياتها على باقي دول العالم، وأما العالمية فهي دعوة لمقابلة عولمة الحرب برد فعل مضاد حسب الصيغة المشهورة أن (لكل فعل ردّ فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه) بحيث نزيل العرض وندأوي المرض، فاعراض المرض تقابل بالعلاج السريع (الإسعافات الأولية)، والبحث عن الدواء أو اللقاح كما جرى في الجائحة الصحية قربة العهد وكذلك الحرب ودواعيها. ونعني بالعلاج السريع الإيقاف الفوري للإقتتال ونعني بالدواء إقامة السلام والوئام والمصالحات. ولذلك فإن القيادات الدينية المعنية بخطاب هذا المؤتمر يمكن أن نتصور إسهامها وفق مايلي:

أولاً: الدعوة إلى الحوار كوسيلة لا بديل عنها وطريق لا بد من سلوكها للوصول إلى السلام. اللسان بدل السنان، والكلام بدل الحسام (أو في عصرنا القنبلة والصاروخ). ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ...﴾ تلك هي أدوات الحوار التي وهبها الله للإنسان.

ثانياً: دور الإطفائي الذي لا يسأل عن المتسبب وإنما كيف نطفئ الحريق. لطالما تحدثنا في هذا المنتدى عن دور صانع السلام بوصفه إطفائياً. وإننا كإطفائيين نسعى إلى إطفاء الحريق قبل السؤال عن من أشعله أو الحكم عليه أو وصفه أو وصمه بأي جرم، المهم أولاً هو إطفاء الحريق وإيقاف القتل والقتال قبل الحكم على الأعمال والأفعال. فنحن لا نضع الإشكالية الكانتية (إيمانويل كانت) في تعليق السلام على تحقيق العدالة الدائمة، بل نرى أن العدالة تنال على بساط السلام، فلا عدالة مالم تتوقف الحرب. بفقد السلام تهدر كل المصالح الأخرى.

ثالثاً: روح ركاب السفينة. إن درجة التشابك بين مصائر الشعوب وأوضاعها في سياق العولمة المعاصرة فرضت الشعور الواعي بحقيقة الانتماء للبشرية كعائلة كبرى وللاأرض كوطن أشمل، وهو ما يسميه البعض مواطنة كونية، المطلوب التحقق بها من خلال تجسيد روح ركاب السفينة التي ضرب بها النبي صلى الله عليه وسلم المثل، روح ركاب السفينة الذين يؤمنون بالمسؤولية المشتركة وبالحرية المسؤولة المرشدة وبواجب التضامن والتعاون.

بهذه الروح نشد أن نشيد عالما تتضافر فيه ثمرات العقول لفائدة الجميع فلا يستأثر بها القوي أو يحتكرها الغني، عالما تتنافس فيه الأمم في الخير، وتستبق فيه الدول في تقديم الضيافة التي تستند إلى الكرامة الإنسانية، والتي تجعلك ترى الغريب قريبا، تراه أخا وصديقا، تقابله بحسن الظن، تؤويه إلى بيتك وتبذل له البر والإحسان، من غير سابق معرفة بينكما.

رابعا: التزام القيادات الدينية بالبحث في نصوصها المقدسة وتراثها الديني وتقاليدها الأصيلة عن مسوغات السلام فلقد بينا في الملتقيات الثمانية السابقة نصوصاً كثيرة تدعو إلى السلم والأمن والأمان واحترام الإنسان، دمه وعرضه وماله، وتدعو المؤمنين كافة للدخول في السلم طبقاً للأية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ التي دعت إلى السلم في عبارات بليغة واستعارات رائعة تمثل السلم بيت فسيح، ومنزل مريح، يتسع للجميع، فكفى بالدخول عن حالة الانخراط في المصالحة والسلام. بالدخول وجاء بفي الظرفية التي تشير للظرف المكاني وهو السلم الذي هو البيت أو الحصن الحصين.

السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَ بِهِ * وَالْحَرْبُ تَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُزَع

وكان لنا وقفة مع نصوص من العهد القديم والجديد تمجد السلم وتنشره بين أتباعها وأشباعها. ومن ذلك ما ورد في سفر أشعيا: «ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين، المنادين على مسامعنا بالسلام، الحاملين بشاره الخير والخلاص».

خامساً: تشكيل وفود من القيادات الدينية والروحية للوساطات والمصالحات، وبناء الجسور وفتح باب الحوار بين أطراف النزاعات المشتعلة.

سادساً: تفعيل الوثائق والمواثيق التي صدرت عن الجهات والمراجع الدينية المتضمنة دعوة للسلام.

ومن جملتها الحلف المعروف تاريخياً بـ «حلف الفضول»، الذي أبرم بمكة المكرمة وزكاه النبي صلى الله عليه وسلم. وفي عصرنا الحديث نجد الإعلان في الحقوق الدينية / Dignitatis humanae / الذي أعلنته الكنيسة الكاثوليكية 1965 والذي مثل نقطة انطلاق الكثير من مبادرات الحوار، ويضاف إليه الإعلانات المختلفة التي أصدرتها الأديان والطوائف والتقاليد الأخرى. وفي العقدين الآخرين: رسالة عمان (2004)، وكلمة سواء (2007)، وإعلان مراکش لحقوق الأقليات الدينية في البلدان المسلمة (2016)، وإعلان واشنطن لتحالف القيم (2018)،

ووثيقة الأخوة الإنسانية (2019)، ووثيقة مكة المكرمة (2019)، وحلف الفضول الجديد (2019).

لقد عملنا في السنوات الماضية بالشراكة مع كثير من الهيئات والشخصيات الحاضرة على دعوة السلم لشعورنا أنها دعوة لازمة وضرورة ملحة، لكن هذه الضرورة تتأكد عندما تظهر الحروب وتراق الدماء وتستخدم القوة العنيفة بحيث يصبح التهديد عالمياً؛ ولذا قلنا إن هذه العولمة ينبغي أن تقابل بعالمية السلام.

إن حماية السلام بالحرب مثل تكليف الذئب برعي الغنم، فهذه الحروب والأزمات لا تولد إلا الخسائر في المنتظم الانساني أجمع (أو ما يسمى عند المسلمين بالكيلات الخمس - الدين والحياة والعقل والملكية والعائلة)، فهذه الضروريات الخمس التي هي أسمى حقوق الإنسان التي منحها له الله عز وجل، لا ثبوت لها ولا ثبات إلا في إطار المجتمع الآمن الذي يتمتع بدرجة من السلم تضمن توفرها. ففي ظل السلام وما يوفره من الألفة والسكينة والأمل تقوم أسبابها وتتوفر شروطها وتتفي موانعها.

إننا لا ندعو إلى السلم باعتباره ممكناً، بل باعتباره أمراً لا بد منه، فالسلام هو النهج وهو الغاية. والسلام ليس كلمة فقط، وإنما هو معنى عظيم يقوم في النفوس محبة وشفقة وأخوة، ويظهر على السلوك تعاوناً وتضامناً، هكذا تبنى الأمم وتتعايش المجتمعات ويزول شبح الخوف والمجاعات.

ولقد أظهرت جائحة كورونا أهمية التعاون الدولي والشرائط متعددة الاطراف في مواجهة التحديات ذات الطابع المعولم، والتي لا يمكن لبلد بمفرده أو منطقة لوحدها معالجتها أو التعامل معها.

وإذا كانت الحرب أولها كلام كما تقول العرب فإن السلم أوله كلام أيضاً؛ ولذا فلا بد من الحوار والتباحث لايكاف الحروب ولتخفيف التوترات. بحيث يوضع السلاح ويقدم بديل للحرب؛ فإن الأبواب المغلقة والأسماع الموصدة لا تؤدي إلى التفاهم ولا إلى السلام.

إن القيادات الدينية تخاطب العقول والقلوب وطموحها أن يؤثر هذا الخطاب في الساحة، وتلقاه آذان واعية، وقلوب مصغية؛ ليتحول إلى إدراك يجعل الحكمة أساساً، والتواضع منطلقاً، والمصلحة هدفاً، والترويج لقيم الحياة مبدأً، والقيم النبيلة قواعد للنظام العام؛ بحيث يحتكم الناس إلى قوة المنطق لا إلى منطق القوة.

ولذا فإننا نعتقد أنه من خلال جهود القيادات الدينية مع غيرها بإمكاننا أن نوصل صوت الحياة، صوت الحكمة للأخذ بحجرات الناس عن القفز إلى أتون الحرب والفناء.. ذلك هدفنا وتلك أمانيتنا.

لقد سجلت كتب التاريخ بمداد من ذهب أقواماً أطفأوا نيران الحروب، وكظموا الغيظ، وأحيوا الناس؛ فأثنى عليهم التاريخ وحمدت فعلهم البشرية.

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانِ بَعْدَمَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عَطَرَ مَنَشِمِ
وقد قلتما: إِنْ نُدْرِكُ السَّلَامَ وَاسْعَا * بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلِمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ * بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ
إننا في خضم هذه التحديات القائمة والازمات الخانقة، مانزال نرجو ألا تخبوشعلة الأمل وأن تؤدي الأزمات الحالية إلى رد فعل معاكس من شأنه خلق معاهدات جديدة لنزع الاسلحة النووية وليس فقط لتقليصها (لتكون اتفاقية START جديدة)، من خلال مواثيق دولية تحمي حقوق الدول وتصون مصالحها دون الحاجة إلى دخول الحروب واختلاق النزاعات. إن اسلحة الدمار الشامل يجب أن تدمر هكذا يقول العقل.

ولما كان مؤتمرنا هذا يهدف إلى زيادة التعاون وبناء الشراكات بين الفاعلين في حقول السلم والمصالحات، ولعلني في هذا الصدد أقترح فكرة قد تكون سهلة التنفيذ محمودة الأثر، وهي أن نخصص -كقيادات دينية ونخب أكاديمية وصناع قرار- أقرب فرصة قادمة للكلام أو الكتابة بعد المنتدى سواء كانت تلك الفرصة خطبة للجمعة، أو عظة للسبت أو الأحد، أو مقالا صحفيا، أو برنامجا تلفزيونيا، أو غيرها؛ من المناسبات للكلام والكتابة عن السلم وجهود السلم وإيصال رسالة السلام إلى مجتمعاتنا في مختلف القارات وبجميع اللغات؛ وبهذا نكون قد أسهمنا في نشر الوعي والخروج بهذه الأفكار والجهود الخيرة إلى فضاء أرحب من إطار المؤتمرات للوصول بها إلى البشرية؛ لتتنزل في المدارس تعليمًا للناس، وفي المعابد تعاليم للمؤمنين، وفي ساحات الصراع وميادين النزاع، طمأنينة تحل في النفوس، وأملا يعمر القلوب ويشير في النفوس محبة الخير الكامنة في الفطرة البشرية.

وختاماً، فإنكم أيها المشاركون في هذا المؤتمر رسل سلام، وسفراء فوق العادة لنشر رسالة السلم والوئام، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن البشرية جمعاء تعلق على جهودكم وأعمالكم آمالاً عظيمة



أثر المذهب الأشعري في المجتمع التونسي

أ.د. أبو لبابة حسين

رئيس جامعة الزيتونة سابقاً - وعضو مجمع البحوث الإسلامية

كانت بدايات الاعتزال في أواخر القرن الأول منغمسة في بحث مسائل وقضايا وثيقة الصلة بمصير مرتكب الكبيرة التي فجرها الخوارج الذين كفّروا مرتكب الكبيرة وخلّدوه في النار⁽¹⁾ مقابل المرجئة الذين أرجّؤوا أمره إلى الآخرة، ولم ينفوا عنه الإيمان، لأن الإيمان عندهم خصلة واحدة هي الإقرار والاعتقاد الذي لا يضُرُّ معه العمل⁽²⁾. وخالف المعتزلة كلاً من الخوارج والمرجئة وذهبوا إلى أن العمل شرط صحة الإيمان إلا أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، وخلّدوه في ضحضاح من النار.

ومع تقدّم الزمن تشعبت اهتماماتهم فصاروا يبحثون أسماء الله تعالى وصفاته ونعوتة؟، وهل أسماء الله هي ذاته؟ وكلام الله هل هو قديم أو حادث؟ وما المراد باستوائه تعالى على العرش؟ ونزوله إلى السماء الدنيا؟ ومعيته الخلق؟ وبحثوا

(1) إلى جانب قولهم بالتبرؤ من عثمان وعلي وأصحاب الجمل وأصحاب صفين ومن قبل التحكيم، وقولهم كذلك بوجوب الخروج على الإمام إذا خالف السنة، وغيرها من ألوان الغلو والانحراف القاتل. (الملل والنحل للشهرستاني: 1/115 - مصطفى البابي الحلبي - مصر 1387هـ)

(2) هُدِّي الساري مقدّمة فتح الباري: 483. (الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [773-852هـ]، ط 1 - 1407هـ/1989م - دار الريان للتراث - القاهرة).

رؤيته تعالى؟ والقدر؟ والشفاعة يوم القيامة؟ والحوص؟ وعذاب القبر؟ وغيرها من المسائل الكلامية التي شغلت علماء الكلام وقد وجد فيها أصحاب الأهواء فرصتهم الذهبية لنفث سموهم ونشر ضلالهم.

وازدادت سطوة المعتزلة حينما تمكّنوا من استمالة الخليفة العباسي السابع⁽¹⁾ المأمون بن هارون الرشيد الذي حكم عشرين سنة [198- 218 هـ] فاستمدّوا من سلطانه المطلق نفوذهم وسطوتهم. فانحدروا إلى بؤرة إرهاب خصومهم ومن لا يُشاطرهم آراءهم وأهواءهم، وفي هذا المناخ المربّد نشطت الباطنية «تؤول القرآن والسنة على غير ما يُراد منهما، مكرًا بالدين وصرفًا للناس عن هدايته، كما أن من يحنّون إلى أصولهم المجوسية منذ فترة عزّ البرامكة لم يدخروا وسعًا في الكيد للإسلام وحُماته»⁽²⁾.

وشعر أهل السنة والجماعة بتجاوز أهل الأهواء حدودهم، وانتظروا أن يقيض الله لهذه الأمة من يقيم البدع، ويُعلي دليل الكتاب والسنة، فكان أبو الحسن الأشعري الإمام الأجل الذي أحسن التعبير عن مذهب أهل السنة، وأعاد علم الكلام إلى أصلاته وأزال عنه ما افترأه أهل الأهواء وزوَّروه من أدلة وبراهين واهية، فكان لسان الصدق الذي «أحسن التعبير عن مذهب أهل السنة والجماعة، وطهر علم الكلام مما أغرقته فيه المعتزلة والقدرية والمشبّهة والباطنية من تأويل وغلو، واستمات في مجاهدة كل هذا الضلال حتى تمكّن من قلب أمم كثيرة من جهة إلى أخرى فعُدّ وبكل صدق وجدارة من أعظم الرجال»⁽³⁾.

وكان أبو الحسن الأشعري في مبدأ حياته مُعتزليًا، حتى أنّه صنّف كتابًا في نصر مذهب الاعتزال، ولزم أبا علي الجبائي⁽⁴⁾ [ت303 هـ] أحد رؤوس الاعتزال سنين عديدة، ثم أراد الله به خيرًا فاهتدى، وتحول إلى ما عليه أهل السنة والجماعة، وقرّر بشجاعة العلماء المؤمنين أن يكون رجوعه عن الاعتزال علنًا فأتى المسجد الجامع

(1) وأخيه المعتصم من بعده [216 - 227 هـ]، ثم الواثق بن المعتصم [227 - 232 هـ]

(2) صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري: 8 [بقلم الإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر - طُبعت في مقدّمة كتاب الإبانة في أصول الديانة تأليف أبي الحسن الأشعري، ط1- 1412 هـ/ 1991 م - دار القادري - بيروت].

(3) صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري: 10.

(4) زوج أمّه، فأبو الحسن ربيب الجبائي.

بالبصرة يومَ جُمُعَةٍ وأعلن بصراحةٍ ووُضوحٍ رُجوعَهُ عن الاعتزال ومُعتقداته، ثمَّ أَلَفَ كتابًا نقض فيه فكر الاعتزال⁽¹⁾.

عقيدته التي يتعبد الله بها:

ونحن بقراءتنا لرسالته الموسومة «بالإبانة في أصول الديانة»، ورسالته إلى أهل الثغر بباب الأبواب نَقَفُ على ما وثَّقه من عقيدته الواضحة الجليلة، وهي عقيدة السلف (2)، فهو يقول بالحرف: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها:

* - التمسكُ بكتاب ربِّنا،

* - وسُنَّةَ نَبِيِّنا ﷺ،

* - وما رُوي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك مُعتصمون، وبما كان يقول به [الإمام] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه - قائلون ولمن خالف قوله مخالفون». (3).

* - الإقرارُ «بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أُمَّته من أهل القبلة المُوحِّدين» (4).

* - أن المؤمنين يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يوم القيامة بالأبصار⁽⁵⁾، بأعين الوجوه ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة 22- 23]⁽⁶⁾، ولا يراه الكافرون لأنهم يومئذٍ عن ربهم محجوبون ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين 15]

* - وأنه يدين بحَبِّ السَّلَفِ الذين اختارهم الله تعالى لَصُحْبَةِ نَبِيِّه ﷺ.. ومن تبعهم بإحسان» (7).

(1) صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري: 11 - 13. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: 37

(2) يثبتون صفات الله تعالى كما وردت على ظاهرها + القرآن غير مخلوق + الله يرى يوم القيامة + يُشْتَوْنَ القدر.

(3) الإبانة في أصول الديانة: 25، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: 1/ 350.

(4) مقالات الإسلاميين 1/ 347. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: 164.

(5) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: 1/ 346.

(6) وثبتت رؤية المؤمنين الله يوم القيامة في الحديث الصحيح الذي بلغ حدّ التواتر [انظر البخاري

- التوحيد - باب قول الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة - متن فتح الباري: 13/ 429 - 430 (7434) [7435].

(7) الإبانة في أصول الديانة: 26 - 29.

- أما أسماء الله وصفاته التي اضطربت حولها الآراء فيقول:
- * - إن لله سبحانه وجهًا بلا كيف وأن له يدين بلا كيف وأن له عينًا بلا كيف.
- * - وأن لله قوةً وسمعاً وبصرًا، مخالفًا للجهمية⁽¹⁾ والمعتزلة والخوارج الذين نفوا هذه الصفات وعطلوها، واعتبروا من يشبهها مُشَبَّهًا.
- * - وأن كلام الله غير مخلوق.
- * - وأنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء من خير أو شر إلا بمشيئة الله. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكويد 29
- * - وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات 96].
- * - كما ذكر أنه يدين بحب السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ..
- ومن تبعهم بإحسان⁽²⁾. وهي عقيدة لم يتدعها الإمام الأشعري وإنما هي عودة إلى «ما كان عليه السلف الصالح وصحابة الرسول ﷺ...»⁽³⁾.
- أما منهجه في معالجة القضايا العقدية، فإنه كان يُشخص آراء أهل الزيغ والبدع، ويحدد معالمها، ثم يكرر عليها بالنقض بسلاحي العقل والنقل، ومن ضلالاتهم التي أبطلها⁽⁴⁾:
- * - إنكارهم رؤية الله بالأبصار. 2 - وإنكارهم شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين يوم القيامة. 3 - وجحودهم عذاب القبر. 4 - وتدنيهم بخلق القرآن.
- * - وقولهم إن العباد يخلقون أفعالهم. [خيرها وشرها ولا دخل لقدرة الله فيها]

(1) الجهمية نفت الصفات والأسماء، وقالت بخلق القرآن وإنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة. وهي تنسب إلى جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو.

(2) - الإبانة في أصول الديانة: 26 - 29.

(3) [www.suhaibalsqqar.com]، نقلا عن طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 365 - 367. وعقيدة السلف هي عقيدة الصحابة التي تلقوها عن الرسول ﷺ وتلقاها عنهم التابعون أي هي عقيدة أهل الحديث السنة والجماعة.

(4) الإبانة في أصول الديانة: 22.

* - وأنه يكون ما لا يشاء الله، خلافاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان 30]، وغيرها من الضلالات التي أحصى منها ست عشرة ضلالة⁽¹⁾.

وقد كان لإخلاصه، ولفرادة أسلوبه في إظهار الحق وإبطال الباطل، الأثر البالغ في تكاثر طلابه ومريديه من علماء الأمة وأئمتها على اختلاف أعصارهم وتباين مواطنهم⁽²⁾: كالقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت 403هـ، «لسان الملة وسيف السنة وناصر الإسلام»⁽³⁾. وكالإمام الحافظ أبي بكر بن فورك ت 406هـ وكإمام أهل الحديث في زمنه أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ت 571هـ⁽⁴⁾. وكالحافظ أبي ذر الهروي [355 - 434هـ] صاحب أئتن روايات صحيح البخاري على ملحق ابن حجر العسقلاني. وأبي نعيم الأصفهاني ت 430هـ - وأبي جعفر محمد بن أحمد السمناني قاضي الموصل [361 - 444هـ] - وأبي القاسم القشيري النيسابوري [376 - 465هـ]، وابنه أبي نصر بن أبي القاسم القشيري. - والإمام أبي المعالي الجويني [419 - 479هـ] - وحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي الطوسي [505هـ]، وغيرهم من أساطين العلم ومنارات الإيمان. فصدق قول ابن السبكي: «طريقة الشيخ الأشعري هي التي عليها المعتبرون من علماء الإسلام والمتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد ﷺ»⁽⁵⁾. فهو إمام الأمة بلا منازع وناصر دينها. ومذهبه هو مذهب أهل السنة والجماعة، حيث تبنّاه أغلب المحدثين وارتضاه عامة علماء المسلمين⁽⁶⁾.

(1) مثل زعمهم أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله.. الإبانة في أصول الديانة: 22 - 23.

(2) الإبانة في أصول الديانة: 14.

(3) الإبانة في أصول الديانة: 223.

(4) صفحة «ح» من ترجمة ابن عساكر في أول كتاب تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري.

(5) [www.suhaibalsqqar.com]، نقلا عن طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 371 - 377. وانظر

تبين كذب المفتري: 331

(6) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: 332. [ناصر السنة، حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ت 571هـ] وانظر الأجوبة العاجلة بتوضيح مضمون الانتساب إلى الأشاعرة [د. صهيب السقار، المحاضر في قسم الدراسات الإسلامية - جامعة قار يونس - بنغازي - ليبيا] [www.suhaibalsqqar.com].

وإذا كان حظُّ المشرق الإسلاميّ من أبي الحسن الأشعريّ كبيرًا حيث ازدهر، وانتشر، وانخرط في طريقته ومذهبه جُلَّةُ العلماء وأكابرهم، فإنَّ حظَّ الغرب الإسلاميّ من نهج الأشعريّ وطريقته المُثلى لا يَقلُّ شأنًا عن حظِّ المشرق، حتّى أن أبا عبد الله محمد بن عمّار الكلّاعيّ الميوزقيّ الفقيه المالكيّ من رجال القرن الخامس قال: «أهل السنّة بالمغرب والمشرق بلسان الأشعريّ يتكلّمون، وبحجّته يَحْتَجُّون»، ذلك أنّ المذهب الأشعريّ عرّف طريقه إلى الغرب الإسلاميّ قديمًا، فقد بعث أبو بكر الباقلانيّ (ت403هـ) تلميذه الحسين بن حاتم الأزديّ إلى الشام ثمّ إلى القيروان وبلاد المغرب، فدان له أهل العلم وانتشر المذهب في صقلية والأندلس، ومن أوائل من ارتبط اسمه بالعقيدة الأشعرية إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الزبيدي المعروف بالقلّاسيّ ت359هـ، له كتاب «الإمامة»، في الردّ على الرافضة، وقد امتحن على أيديهم وضُرب بالسياط وسجن⁽¹⁾.

كما أنّ أبا عمران موسى بن عيسى الغفوجي الفاسي ت430هـ استوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم، رحل إلى المشرق، ودرس الأصول على أبي بكر الباقلانيّ، وسمع من أبي ذرّ الهرويّ⁽²⁾، ولا شكّ أنّه أخذ عنهما الطريقة الأشعرية لاسيما وهما من أنجب أساتذة المذهب الأشعريّ، كما تفقه بأبي الحسن القابسيّ في القيروان وبالأصيليّ في الأندلس، وكليهما أشعريّ. ولا يخفى أنّ أبا ذرّ الهرويّ نشر المذهب الأشعريّ في الحجاز كما بثّه عبر طلابه الكثر في الغرب الإسلاميّ.

وكان أبو الحسن القابسيّ يُثني على الأشعريّ، وله رسالة في ذكره كتبها لمن سألّه عن مذهبه، أثنى عليه فيها وأنصف، ومما جاء فيها: «وما أبو الحسن الأشعريّ إلا واحدٌ من جملة القائمين على نصره الحقّ، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخّره عن رتبة ذلك، ولا من يؤثّر عليه في عصره غيره.. إلى أن قال: لقد مات الأشعريّ يوم مات وأهل السنّة باكون عليه، وأهل البدعة مستريحون منه..»، وذكر بقول الشيخ ابن أبي زيد القيروانيّ في جوابه لمن لامه في حبّ الأشعريّ: «وما الأشعريّ إلا رجلٌ مشهورٌ بالردّ على أهل البدع، وعلى القدريّة، والجهميّة، متمسكٌ بالسنن». وفي الحقيقة فإنّ أهل المغرب يُكبرون الأشعريّ ويتنافسون في الإشادة بطريقته فهذا إمام

(1) انظر: <https://www.arrabita.ma/blog> وانظر: ALMAKTABA.ORG BOOK - كتاب

شجرة النور الزكية: 94(216) لابن فرحون -

(2) شجرة النور الزكية: 106(276).

المالكية في عصره ابن رشد الجدّ محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد (450 - 520هـ) يُشيد بالمذهب ويرفع من شأن رجاله. وهذا أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي (578 - 656هـ) يدفع عن أبي الحسن افتراء خصومه، بتأليف رسالة وسمّها «بزجر المُفتري على أبي الحسن الأشعري»، وقد قرّط شيخ الإسلام تقيّ الدين ابن دقيق العيد (625 - 702هـ) هذه الرسالة.

ولن تنسى أجيال المسلمين في الغرب لإسلامي عامّة وفي تونس خاصّة، لابن أبي زيد (310 - 386هـ)، وأبي عمران الفاسي (توفي بالقيروان سنة 430هـ)، وأبي الحسن القاسبي (324 - 403هـ)، ومحرز بن خلف (340 - 413هـ)، وغيرهم من أقرانهم وتلاميذهم أياديهم البيضاء في نشر مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري وترسيخ نهجه في الغرب الإسلامي حتّى أضحى مع مذهب الإمام مالك وطريقة الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري (215 - 298هـ) أبرز سمات هويّته.

وتتجلّى أشعريّة المجتمع التونسي فيما وضعه الإمام أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (310 - 386هـ) في رسالته إلى المربيّ الصالح مُحَرِّز بن خلف أحد عمّ الدين في تونس (340 - 413هـ) ممّا يتعلّق «بواجب أمور الديانة ممّا تنطق به الألسنة وتعتقد القلوب وتعمله الجوارح ..»⁽¹⁾، وفي مجال العقيدة نلاحظ التطابق التام بين ما قرّره الإمام الأشعريّ وما أثبتّه ابن أبي زيد، فهو يقول:

- الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد .. وينقص ...
- لله الأسماءُ الحُسنى والصفاتُ العلا .. تعالى أن تكون صفاتُهُ مخلوقةً وأسماءُهُ مُحدثةً، كلّم موسى بكلامه⁽²⁾ الذي هو صِفَةُ ذَاتِهِ لا خلقٌ من خلقه.

- وأنّ القرآن كلامُ الله ليس بمخلوقٍ ..

- والإيمانُ بالقدر خيره وشره ..

- من عاقبه الله بناره أخرجّه منها بإيمانه فأدخله به جَنّته ..

- ويخرج من النار بشفاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ من شَفَعَ له من أصحاب الكبائر من أمته ..

(1) رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني: 5. (وبهامشها الشرح المسمّى الثمر الداني في تقريب المعاني) - ط 3 / 1374 هـ - 1955 م - مكتبة القاهرة - مطبعة حجازي.

(2) ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أُنظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف 143

- أَنَّ الله سبحانه قد خلق الجنة .. دار خلود لأوليائه، وخلق النار دار خلود لمن كفر به...

- وجعل الكافرين محجوبين عن رؤيته..

- الإيمان بحوض النبي ﷺ...

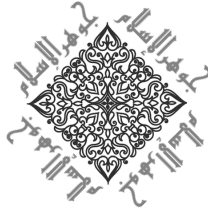
- وَأَنَّهُ لَا يُكَفِّرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ..

- وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وآمنوا به، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم. وأن لا يُذكر أحدٌ من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم...»⁽¹⁾

والرسالة حافلة بألوان من الآداب الإسلامية المُستمدّة من أخلاق النبي ﷺ وشيمه وشمائله ومكارمه، وجُمِلَ من عقائد الإسلام وشريعته وأصول الفقه وفنونه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه. وقد تناقلتها أجيال الطلبة من القرن الرابع، وتَأَصَّلَتْ في وعي أبناء المجتمع، فأصبحت العقيدة الأشعرية وأحكام مذهب مالك، من القضايا المعلومة من الدين بالضرورة، فالجميع بما فيهم العوام، يؤمنون بالشفاعة وبالحوض، وبعذاب القبر، وبالمشيئة الإلهية، والقضاء والقدر، والجنة والنار، ورؤية الله في الجنة .. وأصبحت هذه العقائد تَصْبُغُ هُويّةَ التونسي وتحدّد ملامح شخصيته الإسلامية. وقد أسهمت في بناء تجانس أبناء المجتمع التونسي، وتشكيل وحدة تصوّرهم لعالم الغيب والشهادة. وهي نعمة لا يحفظها الله لنا إلا بتجديد العناية بتعليمها ناشئتنا في المدارس والمعاهد العلمية.

تونس - المنزه - فجر يوم الجمعة 27 صفر 1444 هـ / 2022.09.23 م

(1) المرجع السابق: 8 - 19.



بناء الأمة

بقلم المفكر الهندي أ.د. وحيد الدين خان

إن عالمنا اليوم هو عالم يضطر فيه الإنسان إلى أن يبني صرح حياته وسط الخراب والدمار ولعل سبب ذلك هو أن أحدا لا يعيش بمعزل عن الآخرين سواء أكان فردا أم أمة، بل كل يعيش في وسط آخرين أمثاله، وهذا الوضع قد جعل بيئة العالم يسودها جو المنافسة الدائمة والمستمرة، كل فرد يحاول فرض سيطرته على الآخر، وكل أمة تريد أن تسابق الأخرى لتنال قصب السبق والغلبة، إن نظام التنافس هذا قد أودعه الله في بنية الكون وليس بمقدور الإنسان أن يحدث فيه أي نوع من التغيير، بل كل ما يمكن أن يفعله هو أن يستوعب أبعاد هذا النظام ليبنى صرح حياته على نسقه، فمما يحدث في هذا العالم مثلا أن الأسماك الكبيرة تبتلع الأسماك الصغيرة، وليس للسماك الصغير من أمل في البقاء إلا إذا زاد من حجمه حتى لا يبتلعه السمك الكبير.

ونظرا إلى هذا الجانب من الحياة فإنه قد تم ربط النجاح في معترك الحياة بمبدأ الصبر وأكد القرآن والسنة أيضا على أهمية الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، (سورة البقرة، الآية: 153)، والصبر لا يعني الجبن بل إنما يمثل مبدأ إيجابيا كبيرا، فهو يجنب المرء نفسية رد الفعل، فلا ينخرط في المبادرات العشوائية دونما نظر إلى عواقبها ومهما كانت الظروف متأزمة وغير مواتية له فإنه يقف في حدود الصبر وهو بدلا أن يقيم الأوضاع من داخلها متأثرا بها يقيمها وهو واقف أمامها أو بعيدا عنها يمعن النظر فيها ويتأملها. وكل عمل يتسم بهذا النوع من الموضوعية فهو عمل صادر من عقلية غير متأثرة يطلق عليه وفقا للمصطلح الشرعي أعمال الصبر، أما خلاف ذلك فهي الأعمال المتعجلة.

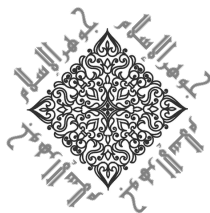
مثال من التاريخ

كان فتح الجيش الإسلامي لفارس في عصر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان سعد بن أبي وقاص هو قائد الجيش الإسلامي آنذاك، وقد ألحق بالجيش الفارسي أضرارا بليغة في بداية اللقاء، مما دفع الفرس إلى طلب الهدنة والصلح بعد أن أدركوا أن الحرب لن تكون في صالحهم، وكان سعد في ساحة القادسية حينذاك، فبعث بنخبة من أفراد جيشه إلى قائد الجيش الفارسي رستم ويزدجرد ملك فارس، وهم نعمان بن مقرن وفرات ابن حيان وحنظلة بن ربيع وعطاء بن حجاب وأشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معديكرب وغيرهم. (ابن كثير، البداية والنهاية).

وقد تناول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية هذه القصة بتفاصيلها، وخلاصتها: أن المغيرة وأصحابه قد اتجهوا إلى البلاط الملكي بالمدائن ودخلوه دون أن تترك البيئة الملكية أي أثر في نفس المغيرة الذي ألقى خطابا حارا تتقاطر كلماته حماسا وشجاعة أمام الملك وحاشيته، فانتفض يزدجرد غيضا وغضباً، قائلاً: كيف تقولون هذا أمام ملك الملوك، لولا أن القانون يمنعني من قتل الرسل لقتلتكم دون تردد، ارجعوا إلى أميركم وأخبروه بأنني سأرسل إليه جيشاً بقيادة رستم سوف يدفنكم في مقبرة القادسية.

وأمر يزدجرد بعض خدمه بأن يأتيه بكيس من رمل ولما أحضره له، اتجه الملك إلى المسلمين وتساءل: من هو أميركم؟ فتقدم عاصم بن عمر، قائلاً: أنا أيها الملك، فوضع الكيس على رأسه، وأصدر أمراً بطرده من البلاط الملكي وبملاحقته حتى يتجاوز حدود المدائن، فاتجه عاصم بن عمر إلى القادسية وهو في هذه الحالة، وقص على قائد الجيش القصة من أولها إلى آخرها، إلا أن سعداً لم ينتفض غيضا وغضباً ولم تتقد فيه نار الحقد والانتقام لصنيع الملك يزدجرد، بل تفاعل من الواقعة، وقال: «ابشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم».

هذه هي النظرة البعيدة التي جعلت من العرب أناسا يفرضون سيطرتهم على أعظم إمبراطورية في ذلك العصر رغم قلة عددهم وضعف جبهتهم، إننا نلمس في نظام الكون نوعاً من الازدواجية، فالليل يعقبه النهار والورد تحيط به الأشواك... وطبقاً لهذه الازدواجية في نظام الكون، فإنك لن تعثر في هذه الحياة على شخص لا يواجه أوضاعاً غير مرضية، غير أن سر النجاح في هذا العالم إنما يكمن في أن يستشف المرء الجوانب المواتية في خضم الأوضاع غير المواتية، وأن يكشف بصيص أمل وسط الوقائع غير المرضية، وحين يوضع على رأس أحد كيس الذل والهوان فهو يراه تاج العز والإكرام إن مثل هذه الأعمال الجبارة يمكن أن يقوم بها فقط أولئك الذين يملكون قوة الصبر والقدرة على هضم النفسية السلبية.



في رياض السنة

الحديث الثاني والعشرون من الأربعين النووية ما يدخل الجنة ...

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت إن صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً ادخل الجنة؟»
قال: نعم، رواه مسلم.

* راوي هذا الحديث هو الصحابي الأنصاري جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. شهد أبوه العقبة وبدرا وأحدا.

ولما بلغ ابنه موته جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أباه مسجى فرفع الثوب عن أبيه ليراه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك فقال عليه الصلاة والسلام «ما زالت الملائكة حافة بأجنحتها حتى رفع ثم لقيني بعد أيام فقال لي: أي بني ألا أبشرك إن الله عز وجل أحيا أباك فقال تمنّ فقال أتمنى يا رب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى اقتل في سبيلك مرة أخرى قال إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون».

* ولما قتل أبوه كان عليه دين وترك حائطا وبذل جابر لأصحاب الدين أصل الحائط فلم يقبلوه ولم يرضوا بالإمهال ولم يكن فيها من الثمر ما يكفي لسداد الدين فلما ذكر ذلك جابر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بجذبها وجعل كل صنف

على حدة ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أن يكيل من كل واحدة منها فوفى الدين وفضل بعده أصع كثيرة وفي رواية وفضل مثل ما كانوا يجدونه كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك.

* وقد شهد جابر رضي الله عنه العقبة الثانية وكان أصغر الحاضرين سنا واستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة.

* ولما أقبلت غير يوم الجمعة والصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل الناس ولم يبق إلا اثنا عشر رجلا كان جابر فيهم فانزل الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هُوءًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

* ولما أراد جابر رضي الله عنه شهود بدر خلفه أبوه على أخواته وكن تسعا وخلفه يوم احد وقد شهد ما بعد ذلك. مات جابر رحمه الله بالمدينة سنة ثلاث أو ثمان وسبعين للهجرة عن أربع وتسعين سنة ويقال انه آخر من مات من الصحابة.

* أما الرجل الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو النعمان بن قوئل الذي شهد بدرًا وقتل في أحد وهو القائل «أقسمت عليك رب العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي هذه خضراء الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن النعمان ظن بالله عز وجل خيرا فوجده عند ظنه فلقد رأيته يطأ في خضرائها ما به عرج».

سأل هذا الرجل «النعمان» رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أرأيت إذا صليت المكتوبات...».

وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الصحابة طلبا للنصيحة كثيرا ما يقع فهو عليه الصلاة والسلام من بعثه الله هاديا وبشيرا ونذيرا وهو عليه الصلاة والسلام من لا ينطق عن الهوى وهو الذي جعل الله من مهامه ان يبين للناس ما نزل إليهم، وهو الأسوة والقدوة وهو من أمرنا الله بإتباعه عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

فطبيعي أن يكون الملجأ والملاذ وقد كانت إجاباته عليه الصلاة والسلام شافية ضافية محققة للمأمول والمراد ومقنعة للسائلين من أصحابه فتنزل على قلوبهم بردا وسلاما وتجد فيها الأمة معهم ما يروي ظمأها).

والسؤال من هذا الصحابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرح بما في تعاليم الإسلام من يسر وسماحة ورفق بالعبد إذ لولا الشعور من هذا الصحابي بأن ذلك

من خصائص الإسلام لما تجاسر عن السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم القائل «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا» والقائل «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه» والذي تقول عنه كتب السيرة «انه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراما» والقائل «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» والقائل «يلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله» والقائل «نية المرء خير من عمله» والقائل «خير الأعمال أدومها وإن قل» وغير ذلك كثير مما يعبر عن سماحة الإسلام ويسر تعاليمه ونفي الحرج عن عباد الله والذي يصل إلى درجة إباحة المحظورات عند الضرورات.

إن سماح هذا الصحابي لنفسه بأن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا السؤال «أرأيت إن صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا ادخل الجنة؟» يحمل في طياته الجواب الذي يستشف مما علمه هذا الصحابي من تعاليم الإسلام المائلة دوما نحو التيسير ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

فالمكتوبات هي الصلوات المكتوبة أي الصلوات الخمس والجمعة والصلوة عماد الدين وركن من أركانه الخمسة التي لا يقوم إلا عليها فقد ورد في الحديث القدسي «وما تقرب إلي عبدي بأفضل ما افترضته» فأداء الفرائض مقدم على كل ما سواها ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ممن لا يؤد ما فرض الله عليه.

وهذه الفرائض كفيلة بتحقيق المأمول والمطلوب الذي هو الإحراز على مرضاة الله ودخول الجنة شريطة أن يؤدي المسلم هذه الفرائض على أتم الوجوه وأحسنها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال لا أزيد عليهن «أي الفرائض» «أفلح صاحبكم إن صدق».

لقد جعل الله الكفاية وزيادة في أداء ما فرض الله على عباده ولكنه فتح لهم باب الاستزادة في الخير جبرا لكل نقص وخلل وتقربا إلى الله وتحببا إليه حيث قال «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ الحديث القدسي المعروف.

لقد اكتفى هذا الصحابي بالسؤال عن صلاة المكتوبات وصوم رمضان ولم يذكر الزكاة والحج وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة ولعل ذلك يعود إلى أنهما لم يفرضا بعد أو لعل السائل ممن لا تجب عليه الزكاة والحج لعدم قدرته واستطاعته

«لم يبلغ ماله النصاب ولم يحل عليه الحول» أو انه غير مستطيع للحج استطاعة بدنية ومالية أو إحداهما.

وأركان الإسلام الخمسة تمثل وحدة لا تنفصل وهي عرى الإسلام فقد حارب سيدنا أبو بكر مانعي الزكاة وقال والله لا افرق بين أمرين جمعهما الله «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» وكثيرة هي الآيات والأحاديث المرهبة من الامتناع عن أداء الزكاة أو الحج إلى بيت الله الحرام من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «ما بقيت الزكاة في مال أحد إلا أهلكته» وقال «من مات ولم يحج (وهو مستطيع) فليمت إن شاء نصرانيا وإن شاء مجوسيا» فعدم إلحاق الزكاة والحج بالصلاة والصوم من طرف هذا الصحابي لا يعود إلا إلى ما ذكرنا من الأسباب.

والركنان اللذان سأل عن الاكتفاء بأدائهما «الصلاة والصيام» ركنان عظيمان من أركان الإسلام، إنهما ركنان يزيان إيمان المسلم ويقويان تقواه لربه وخشيته «فالصلاة عماد الدين» وهي «أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسد سائر عمله» «وبين العبد والكفر ترك الصلاة» وإقامة الصلاة وأداؤها على أحسن الوجوه وأتمها صحة وإخلاصا كفيلة بتحقيق مرضاة الله وهي كفيلة بنهي القائم بها على هذه الحالة عن إتيان الفحشاء والمنكر واقترافهما وصدق الله العظيم حين يقول «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وقد قال عليه الصلاة والسلام «من لم تنته صلواته (عن المنكر) فلا صلاة له» وقد شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهر الجاري على باب احدنا يغتسل فيه في اليوم خمس مرات فانه لا يبقى من درنه ووسخه شيء. كذلك الصلاة فهي تطهر نفس المؤمن وروحه وتزكيهما وصدق الله العظيم الذي يقول (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فأحسن الصلاة فقال «من صلى لله ركعتين لا تحدثه فيهما نفسه دخل الجنة» والمصلي يناجي ربه وهو في حالة سجوده أقرب ما يكون من ربه «فاسجد واقترب» فطبيعي أن يكون جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيجاب فإن صلاة هذه حالتها وكيفيتها محققة لدخول الجنة بإذن الله.

وكذلك صيام شهر رمضان الذي كتبه الله على عباده المؤمنين لعلمهم يتقون فالصيام تزكية وتطهير للأبدان والأرواح وتسام للقائم به عن المادة. إن الصيام عبادة الملائكة وهو عبادة الإخلاص الذي لا رياء فيه «فكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به».

إن الصوم مدرسة للإخلاص والمؤاساة والمساواة ومدرسة للبذل والعطاء والحصول على الأجر والثواب فليس بين دعوة الصائم وأبواب الإجابة حجاب «وللصائم فرحتان حين إفطاره ويوم يلاقي ربه» والصائم تتضاعف حسناته فترتقي الفريضة في رمضان إلى درجة سبعين فريضة وترتقي النافلة إلى درجة الفريضة.

«من فطر صائماً على ثمرة أو مذقة لبن أو جرعة ماء كان له اجر ذلك الصائم دون أن ينقص من اجر الصائم شيئاً»؛ إن صيام شهر رمضان من أعظم القربات والطاعات إلى الله فرمضان شهر أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو شهر الرحمة والغفران والعق من النيران. والصيام الذي يتزود منه المسلم بهذا الزاد العظيم وينال عليه الأجر الكبير هو الصيام الحقيقي والكامل عن كل ما يغضب الله من قول أو فعل «من لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله في تركه طعامه وشرابه» و«كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

فمن أدى الصلاة على أحسن وجوهها وأتمها وأخلصها لله ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً جدير بان ينال مرضاة الله فيدخله جنانه بمحض فضله.

وقد زاد الصحابي السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وصوم رمضان بان يحل الحلال ويحرم الحرام أي يمثل لأوامر ربه ويعتقد أن ما أحله الله هو الحلال ويعتقد أن ما حرمه الله حرام ينبغي اجتنابه وعدم الاقتراب منه ولسان حاله يقول ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

والمسلم مدعو إلى التسليم الكامل لأوامر ربه وأحكامه ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فلا خيرة مع الله ورسوله والحلال هو ما أحله الله وأباحه لعباده والحرام هو ما حرمه الله على عباده. فالله جل وعلا هو الأعلم بما يصلح لعباده فما أباحه لهم هو الحلال وهو الطيب وما حرمه عليهم هو الحرام وهو الخبيث الذي لا فائدة فيه ولا مصلحة فيه وليس من ورائه إلا الضرر العاجل أو الآجل البدني أو الروحي الفردي أو الاجتماعي.

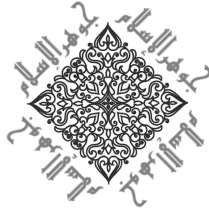
وأفضل ألف مرة أن يعتقد المسلم حرمة ما حرمه الله حتى وان وقع في بعضه ضعفاً أمام نفسه من أن يتفلسف ويأتي بالحجج الواهية تبريراً لما يأتيه من محرمات، انه تلبس إبليس والعياذ بالله نسأل الله السلامة والعافية.

إن شأن المسلم مع ربه ومع رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام هو الإتيان (ما) أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أمرتكم بأشياء فأتوا منها ما استطعتم ونهيتمكم عن أشياء فانتهوا عنها» وكان أحد الصحابة يقول «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه». فالوقوف عند حدود الله من علامات الإيمان نسأل الله إن يجعلنا من الواقفين عند حدود الله وممن يخشونه حق الخشية.

كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع قرار هذا الصحابي «ولم أزد على ذلك شيئاً» أي لن يزيد على صلاة المكتوبات وصوم رمضان وتحليل الحلال وتحريم الحرام هل ذلك يدخل صاحبه الجنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم ولكن بفضل الله ورحمته وتجاوزه. وكرمه فقد ورد في الحديث الشريف «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته».

فرحمة الله الواسعة تجعل كل من يشهد أن لا إله إلا الله ومات عليها وأدى ما فرض الله عليه وانتهى عما حرم الله يدخل الجنة رحمة من ربه وكرما وإحسانا منه سبحانه وتعالى، فهو الكريم العفو الرحيم وهو الغني عن عباده وهو الذي لا تنفعه طاعات المطيعين ولا تضره معاصي العصاة فمن «وجد في صحائفه خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

إن هذا الحديث الثاني والعشرين من الأربعين النووية حديث معبر عن بعض ما ذكرناه آنفا ومعبر عن أوسع من ذلك واشمل مما هو من الخصائص الأساسية والجوهرية للرسالة المحمدية، رسالة التيسير والسماحة والرفق والرحمة، رسالة التبشير بسعة عفو الله وجوده وكرمه وإحسانه وإقباله على عباده وقبوله للسير القليل منهم، تكفيه منهم النوايا الحسنة، ويكفيه منهم الإخلاص له سبحانه وتعالى، فما أكرمه من رب وما أعظمه من خالق وما أروع وما أجمل تعاليم الدين الذي خصنا به وبلغه إلينا سيد الأنام سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام الذي قال في حقه ربه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال في مورد التذكير بمنة الله به عليهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. صدق الله العظيم



إستعادة المسلمين لمجدهم وقوتهم رهينة بمدى إلتزامهم بترسم خطى نبيهم الكريم ﷺ

بقلم فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس حكماء المسلمين

إن استعادة المسلمين لمجدهم وقوتهم مرهونة بمدى التزامهم بترسم خطى نبيهم الكريم محمد ﷺ، وبالتأمل الدؤوب في أنموذجه المنفرد وهو يبنى أمة وينشئ حضارة لم يتحقق لحضارة أخرى ما تحقق لها من بقاء وصمود خمسة عشر قرناً من الزمان، وكذلك ما يتطلبه هذا التأمل من تذاكر سنته الشريفة وتعاهداتها، والحرص على تطبيق ما تنطوي عليه من قيم إنسانية واجتماعية عليا، وبخاصة قيمة العدل والتراحم والمساواة بين الناس، وقيم أخرى لا يتسع لها المقام، سجلها تاريخه وسيرته التي أوصانا بأن نضعها نصب أعيننا إن أردنا لأنفسنا كيانا لا ثقا بتاريخنا وحضارتنا التي: قدمت للعالم أجمع دروسا في التهذيب والتنوير والتثقيف وتصحيح للمسار، شهد بها أعداء هذه الحضارة قبل أن يشهد لها أصحابها وأصدقائها، وقد نبهنا رسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - إلى هذا كله في قوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ أمرا بينا: كتاب الله وسنتي»⁽¹⁾، وفي قوله: «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»⁽²⁾ ولعل عالمنا اليوم لا يرتاب

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: 1 / 93، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج بعده شاهدا له من حديث أبا هريرة رضي الله عنه، بنحوه

(2) أخرجه أحمد في «المسند»: (17 142)، وابن ماجه (43)، من حديث العرياض بن سارية

في أنه بات في أمس الحاجة إلى هدي صاحب هذه الذكرى محمد ﷺ وهدي إخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، وذلك بعدما خسر العالم المعاصر رهانات عاش على وعودها البراقة في إقرار السلام وإنهاء الحروب، ما يقارب أربعة قرون طوال، إن يكن تحقق للإنسانية فيها من الرقي المادي ما لم يتحقق لها منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، إلا أنها في سباقها المادي المحموم عانت - ولا تزال تعاني - من فراغ هائل في المعنى وفي القيم وأصول الأخلاق، وبحيث أصبحت الأزمة أزمة أخلاقية بوجه عام، وكان مبدأ التراحم أول ضحية خسرها إنسان اليوم، وهو يهرول نحو التعبد بأصنام الأثنية والأثرة وتآليه الإنسان وتقديم رغباته الخاصة وشهواته الجسدية، وتحرره من ضوابط الدين، وقيود الأخلاق الراقية، وأصبحت وفرة المال وقوة الاقتصاد، وتجارة السلاح هي المعيار الذي لا معيار غيره في التمييز بين الخير والشر والحسن والقبح والصواب والخطأ بل أصبح هو الحكم الذي لا راد لقضائه في نزاعات عالمنا وصراعاته وحروبه التي إن دقت طبولها لا قدر الله! - فإنها ستعود بنا وبحضارتنا وربما بين عشية وضحاها إلى ما قبل حضارة القرون الوسطى.

إن مبدأ التراحم وأهميته القصوى في استقرار حياة الأفراد والمجتمعات، والذي نبحت عنه اليوم كما يبحث الأعمى عن قبعة سوداء في حجرة مظلمة؛ هو من أخص خصائص شخصية صاحب هذه الذكرى العطرة - صلوات الله وسلامه عليه -، وإن الحديث في هذا الجانب المدهش في شخصيته حديث طويل أفردت لبيانه مؤلفات مستقلة برأسها، تنطلق من الخطاب الإلهي، الذي سماه الله فيه باسمين من أسمائه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 128).

وقد يقال: إن هذه الآية تشير إلى رحمته ﷺ بالمؤمنين به فقط دون غيرهم، وهو قول قد يكون له وجه من الصواب، لولا أن آية أخرى جاءت لتؤكد علي أن الغاية العليا من بعثته هي إيصال رحمة الله إلى الخلق أجمعين: ﴿مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وأن «الرحمة» هي قطب الرحي في رسالته ﷺ في كل مجالاتها: عقيدة وأخلاقا وسلوكا وتشريعا بكل أبعاده: الفردية والأسرية والمجتمعية والدولية.

ومما يلفت نظر المتأمل هنا، ورود كلمة «الرحمة» وتردها بمشتقاتها في القرآن الكريم ثمانين ومئاتي مرة، وهو تكثيف لمعنى «الرحمة»، لا يعرف إلا للقرآن الكريم وحده، وإلا لهذا النبي الرؤوف الرحيم «الذي وسعت رحمته المسلمين وغير المسلمين، وذلك حين نهى نهيا صريحا قاطعا عن قتل نساء الكفار المحاربين وصبيانهم وشيوخهم وأطفالهم وقال: «لا تقتلوا شيئا فانيا، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة»⁽¹⁾، كما نهى عن قتل الأعمى في جيش الأعداء وعن قتل الذرية والإماء والعبيد والأجراء والمدنيين الذين لا يشتركون في القتال، كما نهى عن قتل الرهبان واقتحام أديرتهم وأماكن عبادتهم، بل إن رحمته ﷺ تخطت عالم الإنسان - أيا كان هذا الإنسان - لتحنو على عوالم الحيوان والنبات والجماد في جيش العدو، وذلك حين حرم على جيوش المسلمين ذبح الحيوانات في معسكر عدوهم وقطع شجرهم المثمر وهدم مبانيهم أو تخريبها، وحرم التمثيل بجثث القتلى من الكفار⁽²⁾.

ثم إنه ﷺ يؤكد هذا المعنى في قوله الشريف: «إنما أنا رحمة مهداة»⁽³⁾، للدلالة على أنه ﷺ بذاته وصفاته ليس إلا تجسيدا حيا لرحمة الله - تعالى - التي يقدمها هدية للخلق أجمعين، ثم يتكرر هذا المعنى على نحو أوسع وأشمل، وللمرة الثالثة، وذلك في قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽⁴⁾، والذي يؤكد هذه المرة على أن مكارم الأخلاق عامة هي المقصد الأصيل من رسالة الإسلام، بل من سائر الرسالات الإلهية قبل الإسلام، يدلنا على هذه اللفظة المحمدية المنصفة للرسل السابقين قوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فهو ﷺ متمم ومكمل لما أسسه إخوانه السابقين عليه، وليس منشئاً لمنظومة أخلاق وقيم جديدة لا عهد للأديان الإلهية السابقة بها من قريب أو بعيد.

لا أجاوز الحقيقة لو قلت: إن مظاهر رحمته تستعصي على العد والحصر والإحصاء، فقد كان لهذه الرحمة فضل على التاريخ حين أنقذت بعثته أمما كانت على وشك الاحتضار أو الانتحار، واسألوا دولة الفرس ودولة الرومان، وأوروبا

(1) أخرجه أبو داود (14 26)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) من كتابي: «القول الطيب»، (1 / 333).

(3) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (1 / 35)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما».

(4) أخرجه البزار في «مسنده» (8949)، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . بهذا اللفظ، وهو في «الأدب المفرد للبخاري» (273) من حديثه أيضا بلفظ: «صالح الأخلاق»

الشمالية، ومصر والهند وجزيرة العرب، وقارنوا أحوالها وقت المبعث، بأحوالها بعد وفاته بعقد أو عقدين من الزمان، فهناك سوف يتضح الفرق ويصدق القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم إن هذه الرحمة لم تقبض يدها عن مستحقيها من المسلمين ومن غير المسلمين، حتى ممن ناصبوه العداة وأظهروا له الكراهية والبغضاء، وأذوه في بدنه وفي أسرته وفي سيرته وعرضه، ولم يكتف بالعفو والصفح والمغفرة بل كان يزيد على ذلك ويقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»⁽¹⁾.

وكان الضعفاء من أصحابه ومن غير أصحابه هم أحق الناس برحمته وحنانه واهتمامه، فكان يوصي أصحابه بخدمهم ويقول: «أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»⁽²⁾، وجاءه أعرابي فقال له: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم كل يوم؟ قال: «سبعين مرة»⁽¹⁾⁽³⁾، وكان ينهى أصحابه أن يقولوا عن خدمهم: عبدي وأمني، ويذكرهم بأن الكل عبيد الله وإماؤه، وأن الصحيح أن يقال: فتاي وفتاتي، وكان يوصي باعطاء الأجراء أجرهم قبل أن يجف عرقهم، وكان يوقر الكبير ويرحم الصغير، وكان رحيما بالأطفال، قال عنه أنس بن مالك وهو يصف رحمته بالأطفال: «ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال والأطفال من رسول الله ﷺ»⁽⁴⁾، وكان يصلي - أحيانا - وهو يحمل أمامة ابنة بنته السيدة زينب - رضي الله عنها وأرضاها-، فإذا سجد وضعها على الأرض وإذا قام حملها).

وقد نالت البنات من رحمته فوق ما ناله الأبناء الذكور، مصححا بذلك ما تعاهد عليه مجتمعه وتعارف من تفضيل الابن على البنت، وكان يقول: «من عال جاريتين (أي: بنتين) حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه⁽⁵⁾.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: «كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا يقول اعلم أبا مسعود، الله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! هو حر لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفتحك النار، أو لمستك النار»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (210)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) أخرجه البخاري (30)، ومسلم (166)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(3) أخرجه أبو داود (1645)، والترمذي (1949) وحسنه، من حديث ابن رضي الله عنهما.

(4) أخرجه مسلم (1623)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(5) أخرجه مسلم (1263)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(6) أخرجه مسلم (1659)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

أما رحمته بالأيتام فحدث ولا حرج، ويؤثر عنه ﷺ في هذا المقام حكمته الخالدة التي تقول: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»⁽¹⁾.

ومن يقرأ سورة الضحى، وهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم ويتأمل في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا السَّيِّمُ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 9، 10) يعجب لهذا الدين الذي يفتح تعاليمه وتوجيهاته بأوامر تحمي اليتيم والفقير والسائل أو قل تحمي الضعيف من انتهاك حرمة وجرح مشاعره مثلما في سورة الماعون وهي أيضا من السور المكية واستعراض آياتها الأولى.

وحتى المخلوقات الضعيفة لم تحرم من رحمته، بل من تدخله بشخصه الشريف - إذا لزم الأمر لحمايتها ودفع الخطر عنها وعن عيالها، وفي ذلك يروي بعض أصحابهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر فأوا طائرا كالعصفور له فرخان صغيران، فأخذ أحد أصحابه هذين الفرخين، فجعل الطائر يروح ويغدو ويضرب بجناحيه، فجاء النبي ﷺ وقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»⁽²⁾، وكان يقول: «من فرق بين والدته وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»⁽³⁾.

ومن أعجب ما يعجب له الباحث في هذا الباب، ما يرويه أصحاب السير والمغازي «من أن النبي ﷺ وهو متجه لفتح مكة على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، نظر وهو في الطريق إلى كلبة تحن على أولادها، وهم حولها يرضعونها، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له: جعيل بن شراقة أن يقوم حذاءها، حتى لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها»⁽⁴⁾. ومثار العجب هنا هو أن هذه القصة المدهشة حدثت والنبي ﷺ يقود جيشاً قوامه عشرة آلاف من المسلمين يسير به لفتح مكة، ويأخذ في مسيره هذا أقصى درجات السرية والحذر والحيلة، حتى إن وجهته كانت تخفى على كثير من المسلمين، بل على كثير من أهل بيته وهو يتجهز لهذه الغزوة الفاصلة تاريخ وتاريخ، يدلنا على ذلك أن أبا بكر - رضي الله عنه - سأل ابنته عائشة - رضي الله عنها - عن مقصده ﷺ وقال لها: «أين تريه يري؟» قالت: «والله ما أدري!» وكان ﷺ يكتفي بأن يخبر الناس بأنه سائر إلى مكة، وكان أخشى ما يخشاه أن تتسرب أنباءه إلى

(1) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (137)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) أخرجه أبو داود (2675)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(3) أخرجه الترمذي (1283) وحسنه، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه .

(4) أخرجه الواقدي في «المغازي»: (2 / 804).

أهل مكة فيستعدوا لمنعه وتقع الحرب بينه وبينهم، وكان يقول في دعائه: «اللهم خذ العيون والأخبار عن فريش حتى نبغتها في بلادها»⁽¹⁾. وإني لأتساءل: أين هذا القائد الذي تحيط به هذه الضغوط العصبية والنفسية، وتستبد به خطفات الخوف والترقب الحذر، والاستعداد ليوم يحرص كل الحرص على الأتراق فيه قطرة دم واحدة؟! نعم أين هذا القائد الذي تحيط به كل هذه المسؤوليات ثم يقع بصره على حيوان ضعيف حوله صغاره يرضعونه فيتوقف ليضيف إلى مسؤولياته مسؤولية أخرى هي مسؤوليته عن تأمين حماية هذا الضعيف وصغاره، ثم يخصص لها ولأولادها حرساً يحميها حتى يمر آخر جندي في الجيش، وليس لهذه العجائب من تفسير إلا أنه ﷺ هم رحمة الله للعالمين، وأن هذا الحيوان قد ناله نصيبه من هذه الرحمة المهداة إلى الكون بمن فيه وما فيه وانظر إلى أدق لحظات مسيره وأخرجها وهي لحظة دخوله أبواب مكة، وكيف كانت هيئته - صلوات الله وسلامه عليه - وهل كانت هيئة قائد مملوء بالفخر والنصر والته على جموع قريش التي كانت تحتشد حوله، وكان يملك - لو أراد - أن يبدها بإشارة من أصبعه الشريف؟ أو كانت هيئة رحيم رؤوف بقومه وأهله؟! لقد نسي كل ما صدر عنهم من أذى وحروب وتربص طوال قرابة عشرين عاماً، ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو على راحلته وعليه - فيما يقول علماء السيرة والتاريخ - عمامة سوداء، وتوسط الناس وهو مطأطئ رأسه الشريف (وإن لحيته لتمس واسطة الرحل - أو ما يقرب منه - تواضعا لله - تعالى - حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين)⁽²⁾.

ولعل فيما سردناه، وهو قطرة من بحر، بل من بحور، ما يعزز الدعوى التي سلفت في بداية الكلمة بأن المعارف والتعاليم الإلهية والخلقية والتشريعية التي تزر بها مدرسة محمد ﷺ، هي خريطة النجاة للعرب والمسلمين في معركتهم الحضارية اليوم، وفي صياغتهم لمجتمعات معاصرة، صياغة قوامها ثوابت الأخلاق جنباً إلى جنب المسيرة العلمية والتقنية.

تحريراً في: 8 من ربيع أول سنة 1444 هـ

الموافق: 4 من أكتوبر سنة 2022 م

(1) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام: (2/ 397)، و«تاريخ الرسل والملوك» للطبري: (3/ 47).

(2) أخرجه الواقدي في «المغازي»: (2/ 823، 824).

الدكتور سعيد شيبان⁽¹⁾ في ذمة الله (2022 / 1925)

علم يزينه تواضع وتعلق شديد بتونس وقلعتها (جامع الزيتونة المعمور).

غادرنا الى دار البقاء الصديق الدكتور سعيد شيبان رحمه الله واسكنه فراديس جنانه بعد عمر مليء بالعطاء في مجال اختصاصه (طب العيون) ومجالات العلم والمعرفة وبالخصوص فيما يتعلق بتحقيق التراث العلمي والطبي العربي الاسلامي .

*كانت له رحمه الله مساهمات هامة في مجال التعريف باعلام الطب العربي الاسلامي (نشرت بعضها مجلة جوهر الاسلام) وكانت له رحمه الله مشاركات هامة في ميادين الفكر الاسلامي من خلال دراسته لكتب التفسير والحديث والتاريخ.

* كما كانت له مشاركات هامة في ما تقدمه القنوات التلفزية الجزائرية من حصص دينية وثقافية كانت له فيها الاضافات المتميزة كتب الله له ذلك في سجل اعماله.

* التقيت به رحمه الله في تونس التي كان يقضي فيها صحبة افراد اسرته الكريمة اجمل اوقاته مستعيدا ذكرياته ومجددا الصلة بمن عرفهم من زملائه اساتذة الطب واصدقائه من شيوخ الزيتونة ورجالات تونس.

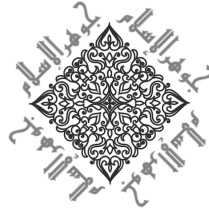
*مما اذكره للدكتور سعيد شيبان رحمه الله سؤاله لي عن تخريج حديث اخترته موضوع موعظة قصيرة ألقيتها اثر الصلاة «الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون الا المخلصون والمخلصون على وجل الخ الحديث).

* بعد الانتهاء سألني الدكتور سعيد شيبان رحمه الله عن تخريج هذا الحديث قلت له لا يحضرني الآن من خرج واعدك بارسال تخريجه حال عودتي. وفيما كنا نتجول بين ارجاء المعلم الاسلامي المجاور لضريح الامام البخاري واذا بنا نقرأ على احدى العرصات حديث (الناس هلكى) مكتوبا من أوله الى آخره هنالك قال لي الدكتور سعيد شيبان رحمه الله (لا ترسل تخريجه فيكفيه تخريجا وتوثيقا كتابته على عرصة بجوار الامام البخاري).

*رحم الله الدكتور سعيد شيبان اخانا وصديقنا وصديق تونس وصديق شيوخ الزيتونة

محمد صلاح الدين المستاوي

(1) استاذ طب العيون ووزير الشؤون الدينية سابقا في الجزائر



وفضل الله من طه علينا بلا عدد ولا يحصى حسابا

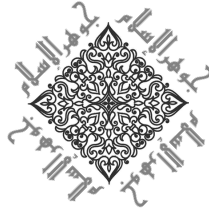
شعر الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة

وأشرعتي تحفزني غضابا
وبي نفس تسائلني الايابا
فلا تبغي رجوعا أو عتابا
يحاورني فلم اجد الجوابا
قد قطف المني دوما غلابا
ويحسو الشهد من فمه رضابا
وقلبه العذاب فما أنابا
فلاتبقي على عقل لبابا
يذوب الليل أشتاتا سرا
وعاصفة تقلبني اضطرابا
ولا حسناً عشقت ولا كعابا
أهيم بعثرتي أرجو المآبا
لأطرقه فيفتحه متابا
لمن نقى سريرته وتابا
وأن الله قد وعد الثوابا
وأن الذنب يورثنا الحجابا
وكان الدين أوثانا كذابا

سألت القلب حين ثوى وثابا
وأفق الأمس يغريني بعود
أبينك والهوى ثار دفين
وناداني نحيب في ضلوعي
وما عهدي بقلبي وهويكي
وكان الحسن يغريه فيصبو
تلظى في الغرام وما تولى
وليل العاشقين سلاف وهم
وحين يجي صبحهمونذيرا
وبي شوق تمرد في الحنايا
وما هو بالغرام يذيب قلبي
ولكني، وذنبى قد دهاني
وهل لي غير باب الله باب
وبشرنا رسول الله عفوا
وعلمنا بأن الخير يربو
بمولده عرفنا الدين هدياً
وأرشدنا لتوحيد وصدق

وهلل عند بيت الله صوت
وأن محمدا هلت رؤاه
وقد ضاءت بمولده الدياجي
ونادى في الزمان بشير حق
وعلمنا الرسالة وهي وحي
وقد باهى على الدنيا حراء
وضخ الغار أنواراً ومسكاً
فجبريل تنزل بالمثاني
وكان الكون صحراء وقفراً
وكان الكون ديجوراً وظلماً
وهل خلق الإله كمثله طه
فإسراء ومعراج وكشف
أليس محمد خير البرايا
فليس كمثله ركب المطايا
فكان الجود في زمن جديب
وكان منزهاً عن كل نقص
وكان حديثه للخلق وحيًا
وكان بشيره بالخير يتلو
وكم لمحمد من علينا
ألم يعط الشفاعة دون رسل
ومن كمحمد كرماً وبذلاً
رسول الله أثقلني عذابي
شربت الحزن كأساً بعد كأس
أبيت لدربك الوضاء أمحو
ولي أمل فبابك بحر فضل
فمنك الجود نأخذه ونعطي
ومنك الفتاح نطلبه ونرجو
صلاة الله نهديها لطفه
وفضل الله من طه علينا

بان الشرك قد ولى وغابا
ففر الجهل مهزوما مصابا
وعم البشركة و الشعايا
بأن الله قد ختم الكتابا
وبلغها ولم يخش الصعابا
وحق له فقد شهد العجابا
وفاح الكون أطيابا فطابا
وبالقرآن أحكمه الصوابا
فجاء محمد يحيي اليبابا
فجاء محمد عدلاً مهابا
وأكرمه وأعلاه اقترابا
وأدناه الإله فكان قابا
وأزكاهم وأفصحهم خطابا
وليس كمثله وطىء الترابا
وكان الغيث والبحر العبابا
وكان الشمس لاتبقي ضبابا
وكان بيانه صفوا مذابا
وكان نذيره يدمي الحرابا
فأسداها وطوقها الرقابا
وإن سئلت شفاعته أجابا
وأندى الخلق اناما مجابا
وهل كالذنب يفرينا عذابا
وأترعني الهوى ريقا شرابا
ظلاما عاث في نفسي خرابا
وإني قاصد هذا الجنابا
ومنك المزن تسقينا عذابا
ونطرق دونه بابا فبابا
وكل صلاتنا ترجى احتسابا
بلا عدد ولا يحصى حسابا



منتدى الشاذلية في تونس بمناسبة ختام الموسم سنة 1444 هجرية

الطريقة الشاذلية بين الأحزاب والتراث المنقبي التونسي وأقوال أبي الحسن الشاذلي (الجزء 1)

اعتنى بها الأستاذ عبد الهادي هنركامب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
وعلى آله الأطهار وأصحابه السَّادَةِ الْقَادَةِ الْبَرَّةِ
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي
فَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِتَلْقَى دَعْوَةٍ مِّنْ إِتْحَادِ الطُّلَبَةِ الْأَنْدُونِيِّينَ بِتُونِسْ هُنَا فِي مَدِينَةِ تُونِسْ
فِي الْجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مَدِينَةِ الْمَقَامِ وَالْمَغَارَةِ؛ فَأَحَبُّ أَنْ أَقْدِمُ
قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ الشُّكْرَ وَالتَّقْدِيرَ وَالِدَّعَاءَ لِلشُّيُوخِ وَأَصْحَابِهِمْ، حَفَظَهُمُ اللَّهُ - لَاعْتِنَائِهِمْ
بِالتُّرَاثِ الرُّوحِيِّ التُّونِسِيِّ وَتَرَاثِهَا الْمُنَقَبِيِّ، وَبِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالْمَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ - وَلِرِعَايَتِهِمْ لِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا
الْبَلَدِ الْكَرِيمِ. وَأَقْدِمُ الشُّكْرَ وَالْإِعْتِرَافَ بِالْجَمِيلِ لِجَمِيعِ الْمَشَارِكِينَ وَالْمُنَظِّمِينَ لِهَذَا
الْمُنْتَدَى الرُّوحِيِّ.

أَقِفْ الْيَوْمَ فِي حَضْرَتِكُمْ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ الْمُنِيفِ، وَفِي هَذَا الْجَمْعِ الْعَظِيمِ، وَفِي
هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ مَوْقِفَ شُكْرٍ وَامْتِنَانٍ، وَالشُّكْرُ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي تَنْتَضِمُ فِيهِ سَائِرُ
الْمَقَامَاتِ، وَتَنْدَرِجُ فِيهِ الْأَحْوَالُ وَالْكَرَامَاتُ، لِأَنَّهُ مُحَضٌّ تَعَلَّقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَظَرُ

إِلَيْهِ وَعُكُوفٌ بِالْهَمِّ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ، وَأَيُّ مَقَامٍ يَلِيْقُ أَكْثَرَ مِنْ مَقَامِ الشُّكْرِ، وَنَحْنُ فِي خَضَرَتِكُمْ يَا مَوْلَايَ أبا الحسن؟ مُلَبِّينَ لِدَعْوَتِكُمُ الْكَرِيمَةِ، لِنُشَارِكَ فِي خَتَامِ هَذِهِ الْمَوْسَمِ الَّذِي أَصْبَحَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ، مَدْرَسَةً فِكْرِيَّةً عَالَمِيَّةً فَرِيدَةً مِنْ نَوْعِهَا، فَهَنِينًا لَكُمْ - يَا أَهْلَ تُونِسَ بِالمَقَامِ والمَغَالَرَةِ، وَمَا عَطَّرْتُمْ بِهِ مَجَالِسَكُمْ الْعِلْمِيَّةَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسَرْدِ الْأَحْزَابِ، وَالِدَّرُوسِ الْعِلْمِيَّةِ. فَنَحْنُ هُنَا فِي الْمَقَامِ الشَّاذِلِيِّ - قَلْبِ الطَّرِيقَةِ، وَمَهْدِ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَتَوَلَّدُ عَبْرَ الزَّمَانِ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ وَالَّتِي يَفْضُلُ اللَّهُ شَاهِدَاتِهَا عَلَى وَجْهِ الْحَاضِرِينَ الْمَوَاطِنِينَ عَلَى الْمَقَامِ وَالْمَغَارَةِ.

فبإذنكم أتناولَ أمامكم ما يُعَالِجُ قَضِيَّةَ الممارسة الشاذلية بين الأحزاب والتراث المنقبي التونسي وأقوال الشيخ الشاذلي وَكَيْفَ تُمَثِّلُ هَذِهِ الْعَنَاصِرُ الثَّلَاثُ الْأَخْلَاقَ النَّبَوِيَّةَ مِنْ جِهَةٍ، وَالْعَلَاقَةَ التَّكَامُلِيَّةَ بَيْنَهَا فِي الْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ لَدَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ مِنْ جِهَةٍ. مِثْلَ الْعَلَاقَةِ التَّكَامُلِيَّةِ بَيْنَ - الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ. وَالْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ وَدَوْرُهَا فَعَالٌ فِي تَحْقِيقِ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ وَتَجْعَلُهُ مُتَخَلِّقًا وَحَسَنَ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ كَافَّةً فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ مُتَشَبِّعٍ بِالْفَضَائِلِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُثَلَّى؛ أَوْ بِعِبَارَةٍ عُلَمَاءُ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا: كَيْفَ يَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الثَّلَاثِ مِنَ الْمُمَارَسَةِ الشَّاذِلِيَّةِ الْمُبَادِئَ الْأَخْلَاقِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَكَيْفَ تَبْنِي عَلَيْهَا الْقِيَمِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ. فَأَقُولُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ وَأَنْعَمَ * وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ * وَأَحَلَّ وَحَرَّمَ * وَافْتَرَضَ وَالزَّمَ * وَعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * سَبَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدَمًا * وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا * وَنِعْمًا * وَهَدَى لَأَوَّلِيائِهِ طَرِيقًا نَهَجًا أَمَمًا * وَأَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ * وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا *

وَتَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * شَهَادَةً مَنْ خَلَصَتْ مِنْ لَفْظِهِ وَصَحَّتْ مِنْ عَقْدِهِ * فَقَدَسَهُ عَنْ نِدِّهِ وَزَهَّهُ عَنْ ضِدِّهِ * وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَفْضَلُ مَنْ اتَّصَفَ بِرُسُولِهِ وَعَبْدِهِ * وَأَعْظَمُ مَنْ أَرْشَدَ الْخَلْقَ بِهَدَايَتِهِ وَرُشِدِهِ * صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحِزْبِهِ الْكَرِيمِ * وَجُنْدِهِ الْقَائِمِينَ فِي أَمَّتِهِ بِسُنَّتِهِ حَالِي وَجُدَانِهِ وَفَقْدِهِ * صَلَاةً تَتَّخِذُهَا مُخْلِصًا مِنْ هَوْلِ الْحَشْرِ وَنَكَدِهِ * وَتَنْبُوُّ بِهَا مَقْعَدًا لَا نَخَافُ شَقَاوَةً مِنْ بَعْدِهِ.

فأقول أولاً قولاً وجيزاً عن الأحزاب؛ ثم عن التراث المنقبي؛ ثم عن الأقوال من كلام السيّد الشريف، لسان الحقيقة والشرعة، أبي الحسن عليّ الشاذلي.

أما الحزب في الاصطلاح فأشار إلى ذلك سيدي أبو العباس أحمد بن أحمد زروق [899/1494] - رحمه الله - بقوله:

هو الورد المعمول به تعبدًا ونحوه، وهو في الاصطلاح مجموع أذكارٍ وأدعيةٍ وتوجيهاتٍ، وُضِعَتْ للذكر والتذكير والتعوذ من الشرّ وطلب الخير، واستفتاح المعارف وحصول العلم، مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك.

ولم تكن في الصدر الأوّل، ولا من جاء بعدهم بقريب، لكن جرت على ألسنة المشايخ المتصوّفة وصالح الأئمة بحكم التصريف والنظر السديد، اشتغالا عن البطالين وإعانة وترقية للمريدين، وتقوية للمحبّين، وحرمة للمتسبين، وتربية للمتوجّهين من العبّاد والزّهّاد وأهل الطاعة والسداد، وفتحاً للباب حتّى يدخله عوام المؤمنين؛ لمّا رأوا قصر الهمم وضعف العزائم وبُعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومريض القلوب، وقلة اليقين. ثم إنّ منهم من جرى مجرى الجمع والتفصيل، فجمع الأحاديث المروية في الصباح والمساء، وطرق التقديس والتزيه، والحمد والثناء بالألفاظ الشرعية من غير زيادة طلباً للسلامة، ووقوفاً مع الرسم في موقف الإرادة - وهو أسلم؛ ومنهم من جرى مجرى الإفادة مع ذلك، وهو أتم وأحكم، - لا سيّما - أن يجتنب الموهوم والمُبهم في أذكاره وأدعيته الأذكار والإلهام، كالشيخ أبي الحسن - رضي الله عنه - في أخذ ذلك بطريق التلقين والإلهام وأخذه من أصوله في اليقظة والمنام - وهو أتم؛ وهذا أحسن الجماعة حالاً وأفضلهم قصداً صحيحاً، وأصدقهم مقالاً.

ثم دقّ الإمام زروق - رحمه الله - في كلامه عن الأحزاب ودخل في التحليل ما امتازت به الأحزاب الشاذلية فقال:

«واعلم أنّ أحزاب الشيخ الشاذلي - رضي الله عنه - جامعة بين إفادة العلم، وآداب التوجّه، وتعريف الطريقة، وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة النفس وخسستها، والتنبيه على خدعها وغوائلها، والإشارة لوصف الدنيا والخلق وطريق الفرار من ذلك، ووجه حصوله والتذكير بالذنوب والعيوب ووجه التنصل منها مع الدلالة على خاصّ التوحيد وخالصه، واتباع الشرع ومطالبه؛ فهي

تعليم في قالب التوجه، وتوجه في قالب التعليم؛ من نظرها من حيث العلم وجده كامناً فيها؛ ومن نظرها من حيث العمل فهي عينه؛ ومن نظرها من حيث الحال وجده كامناً فيها؛ وقد شهد شاهده بذلك عند الخاص والعام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد له أثراً في نفسه، ولا يقرأها إلا كان له مثل ذلك - ما لم يكن مشغولاً ببلوى أو مشغولاً بدنياً أو مصروفاً بدعوى - أعاذنا الله من البلاء.⁽¹⁾

وكلام الشيخ أحمد زروق - رحمه الله - هذا مفتاح لنا يفتح به باب الفهم العميق لما وراء سرد للأحزاب، من الحقيقة الروحية التوحيدية؛ والسر في فهمنا قولهم «التخلق بأخلاق الله» التي هي حقيقة التصوف نفسه.

ما كان الشيخ زروق - رحمه الله - أول من يتعمق في تحليل معاني الأحزاب والأوراد. فنجد ابن عباد - صاحبنا في قوله عن حقيقة التصوف - يجيب يحيى السراج بعد أن طلب من ابن عباد أن يلقنه ذكراً ليدوم عليه ويتخذهُ ورداً. ففي إجابته له يحلل ابن عباد «سيد الاستغفار» تحليلاً كأن الشيخ زروق سمعه واستفاد منه. انظروا قول ابن عباد:

وَأَمَّا الذِّكْرُ الَّذِي طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أَلْقَنَكُمُوهُ لَتَدُومُوا عَلَيْهِ وَتَتَّخِذُوهُ وَرْدًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِي، هُوَ مِنْ شَأْنِ الشُّيُوخِ الْمُرَبِّينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي عَلَى عَدَمِ أَهْلِيَّتِي لِذَلِكَ الْحَلْفِ وَالْيَمِينِ. وَلَكِنَّ الَّذِي أَذْلَكُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ، مَا كَانَ مِنْهَا دُعَاءً، وَمِنْ الدُّعَاءِ مَا يَتَضَمَّنُ حَمْدًا وَثَنَاءً، وَيَقْتَضِي مِنْ دَاءِ الرَّغُونَاتِ شِفَاءً. وَلَمْ أَجِدْ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمَوَاطِبَةِ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ صَحَاحُ الْأَخْبَارِ (البخاري: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار) لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْمُنَاجَاةِ، وَالْحُضُورِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّةِ الْمَلِكِ الْغُفُورِ، ثُمَّ إِخْلَاصِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْاعْتِرَافِ بِفَاقَةِ الْخَلْقَةِ وَذِلَّةِ الْعُبُودِيَّةِ. ثُمَّ إظهارِ الْحَاجَةِ فِي تَكَالِيفِ الْخِدْمَةِ إِلَى الْمُقَوِّي الْمُعِينِ، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى مِمَّا يُوسَّسُ بِهِ عَدُوُّهُ اللَّعِينُ، ثُمَّ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّعْمِ وَتَحْمِلِ الذَّنْبِ الْمُجْتَرَمِ، ثُمَّ سُؤَالِ الْغُفْرَانِ وَالْمَتَابِ وَالِاخْتِامِ بِالنَّاءِ الْحَسَنِ عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ. فَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَلِكَ هَجِيرَاكُمْ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِكُمْ حَصَلَ لَكُمْ بِذَلِكَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، مَعَ الْقِيَامِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ. وَاتَّخِذُوا كَيْفِيَّةً مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَلِكَ مِنْ أَقْرَبِ الْوَسَائِلِ إِلَى أَشْرَفِ الْمَقَاصِدِ، وَالتَّزَمُّوا ذَلِكَ فِيمَا عَيْنَ لَهُ

(1) أحمد بن أحمد زروق، مفاتيح العز والنصر في التنبيه على ما يتعلق بحزب البحر، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، 2020)، ص 25-31.

مِنَ الْحَالَاتِ وَالْأَوْقَاتِ، وَاجْعَلُوهُ عَوْضاً مِّمَّا فَاتَكُمْ عَنْهُ عِنْدَ تَشَاغُلِكُمْ بِالْأَحَادِيثِ
الَّتِي تَرَوْنَهَا عَنِ الثَّقَاتِ وَغَيْرِ الثَّقَاتِ. (الرسائل الكبرى، الرسالة الرابعة، ص 154 - 155)

ومن نفس المشرب نجده في القرون السابقة في نيسابور الإمام زين الإسلام أبا
القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (465 / 1072) - رحمه الله تعالى - يحلل
بألفاظ قليلة دقيقة ممارسة الذكر التي بها تعرّف الصوفية؛ ويفتح قلب من سمعها إلى
حقيقة ما وري مجرد تحرك شفتي الذاكر؛ فيقول:

الذكر: نُطِقُ الْقَلْبِ، بِنَعْتِ الْغَيْبِ.

الذكر: بَيَانُ الْفُؤَادِ، بِصَدَقِ الْأَعْتَادِ.

الذكر: اسْتَهْتَأُرُ الْأَسْرَارِ، بِاسْمِ الْجَبَّارِ.

الذكر: امْتِلَاءُ الْقَلْبِ مِنَ الْمَذْكُورِ، وَاسْتِيْلَاءُ الْأَسْمِ عَلَى الضَّمِيرِ.

الذكر: انْدِرَاجُ الذَّاكِرِ فِي مَذْكُورِهِ، وَاصْطِلَامُ السَّرَائِرِ عِنْدَ ظُهُورِهِ.⁽¹⁾

واسمحوا لي هنا أن أتناول في هذا المحور عن تحليل حقائق الأحزاب والذكر؛
كَلَامَ أَحَدِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ الَّذِينَ أَلْفُوا فِي السُّلُوكِ وَالتَّوْبَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّصَوُّفِ
عَلَى شَاكِلَةٍ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنْهُ: إِنَّهُ الْوَلِيُّ الصَّالِحُ، وَالْفَقِيهِ الْمُحَدَّثِ سَيِّدِي
أَمَحَمَّدُ ابْنُ عَبَادِ الرَنْدِيِّ السَّلَاوِيُّ الْفَاسِي (792 / 1390)، المعروف بالشارح لأنه
كان أول من شرح حكم ابن عطاء الله - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَنَفَعَنَا بِبِرَكَاتِهِمَا.
ابن عبّاد هذا عاش أيام دولة المرينيين في القرن الثامن الهجري، وكان إماماً وخطيباً
بجامع القرويين في مدينة فاس - حَرَسَهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ - وَبِهَا تُوفِّيَ وَدُفِنَ سَنَةَ
792 هـ. وَقَدْ شَهِدَ لَهُ مُعَاصِرُوهُ أَنَّهُ كَانَ قُدْوَةً فِي سُلُوكِهِ وَآرَائِهِ مِمَّا جَعَلَهُ يَحْظَى
بِالْإِحْتِرَامِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ بَلْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ مَنْ أَسَّسُوا لِلتَّوَابِتِ الرُّوحِيَّةِ الدِّينِيَّةِ
لِلْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ بَعْدَ انْفِصَالِهَا عَنِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَقَدْ مَثَلَ فِي سُلُوكِهِ الْمَسْلُوكِ الْأَخْلَاقِيَّ
الْمَغْرِبِيِّ الْمُعْتَدِلِ الْأَصِيلِ. وكان أول من عرف بالشاذلي في عهده بالفاس - كما
يحكي لنا بذلك تلميذه ابن السكّاك.

(1) أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، منشور الخطاب في مشهور الأبواب، تحقيق نزار
حمّادي، تونس: دار الإمام ابن عرفة، 2022، ص 108.

فلا بن عبّاد قولٌ وجيزٌ عن حقيقة التصوّف وممارسته يليق بنا هنا في كلامنا في حقيقة الأحزاب لكي يكون كوصيلة وثيقة بين أسرار هذه الأحزاب وحقيقة التصوّف في تكوين السالك وتركيزه نفسه. فقال ابن عبّاد الرندي - رحمه الله تعالى - في الرسالة الأولى من الرسائل الكبرى:

وَجُمْلَةُ التَّصَوُّفِ كَوْنُ الْعَبْدِ عَلَى حَالَةٍ تُوَافِقُ رِضَى مَوْلَاهُ عَنْهُ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ؛ وَذَلِكَ عَلَى قَسَمَيْنِ، عِلْمٌ وَعَمَلٌ. فَالْعِلْمُ يَسْتَفَادُ بِهِ تَصْحِيحُ عَقَائِدِ أَهْلِ الدِّينِ وَمَقَاصِدِ الْمُكَلَّفِينَ؛ وَالْعَمَلُ يَسْتَفَادُ بِهِ قِيَامُ الْعَبْدِ بِحَسَنِ الْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِتَحَقُّقِ عِبُودِيَّتِهِ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ مَا جَاءَ بِهِ إِلَيْنَا نَبِينَا مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ وَلَا يَرْضَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ حَاشَاهُ. وَمَعْنَاهُ الْخُضُوعُ وَالِاسْتِسْلَامُ لِنَوَازِلِ الْأَحْكَامِ، وَالِانْقِيَادُ وَالِإِذْعَانُ لِمُقْتَضِيَّاتِ أَوْامِرِ الْإِيمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَسِرًّا وَعِلَانِيَةً مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ فِي الصَّدْرِ وَلَا ضَيْقٍ فِي الْقَلْبِ وَلَا تَلَكُّيٍّ فِي النَّفْسِ. فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعْنَى التَّصَوُّفِ لَمْ يَتَصَوَّرْ مِنْ أَحَدٍ يَوْمُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَهْمِلَهُ أَوْ يَشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ؛ فَمَنْ أَهْمَلَ النَّظَرَ فِيهِ أَوْ تَشَاغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ فَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ؛ أَنْتَهِيَ كَلَامُ ابْنِ عَبَّادٍ. [الرسالة الأولى من الرسائل الكبرى].

بَعْدَ هَذِهِ اللَّمَحَةِ الْمُوجِزَةِ مَعَ الْعَلَامَةِ ابْنِ عَبَّادٍ الرَّنْدِيِّ نَرْجِعُ إِلَى بَيْتِ الْقَصِيدِ وَهُوَ أَصُولُ الطَّرِيقَةِ بَيْنَ الْأَحْزَابِ وَالتَّرَاثِ الْمُنَقَبِيِّ، وَكَلَامُ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذَلِيِّ فِي التَّقْوِيمِ الْأَخْلَاقِيِّ الرُّوحِيِّ لِلْإِنْسَانِ. فَأَقُولُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ غُلُوِّ شَأْنِ أَحْزَابِ الْإِمَامِ الشَّاذَلِيِّ وَأَسَالِيهَا الْمَشْرِقَةِ الْبَلِيغَةِ الْأَنِيقَةِ إِلَّا أَنَّهَا تُعْتَبَرُ وَسِيلَةً، غَايَتُهَا - كَمَا فَهَمْنَا مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ ابْنِ عَبَّادٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَصْحِيحُ مُعْتَقَدِ الْعَبْدِ، وَإِثْبَاتُهُ عَلَى السُّبُلِ السَّلِيمَةِ، وَتَقْوِيمِهِ لِمُعَامَلَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ، وَمَعَ نَفْسِهِ، وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ جَنْسِهِ؛ أَوْ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ زُرُوقُ: «هِيَ جَامِعَةٌ بَيْنَ إِفَادَةِ الْعِلْمِ، وَأَدَابِ التَّوَجُّهِ، وَتَعْرِيفِ الطَّرِيقَةِ، وَتَلْوِيحِ الْحَقِيقَةِ، وَذِكْرِ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَاءِهِ، وَذِكْرِ حَقَارَةِ النَّفْسِ وَخَسَّتِهَا، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى خُدْعِهَا وَغَوَائِلِهَا، وَالْإِشَارَةِ لَوْصِفِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ وَطَرِيقِ الْفِرَارِ مِنْ ذَلِكَ».

فإذا كانت الأسرار أحزاب الشيخ الشاذلي تلمع في هذه المعاني المشرقة، فهل ترك الشيخ الشاذلي من ورائها ما يوضح لنا كيفية الممارسة وتطبيق مفاهيم هذه الأحزاب في حياة الشخص اليومية حتى نكون بسبب حفظنا وسردنا هذه الأحزاب

يجعل الواحد منّا فقيراً عارفاً شاذليّاً، ككِتَابٍ مثلاً؟ والجواب - كما تعلمون - هو لا؛ بل ترك لنا أصحابه.

ففي لطائف المنن للعارف بالله ابن عطاء الله السكندري: «وكان أصحاب الشيخ الإمام القطب أبي الحسن - قدس الله روحه - قد أثبتوا جملاً من كلامه، وإن كان هو - رضي الله عنه - لم يضع كتاباً؛ وقد بلغني عنه أنه قيل له: «يا سيدي لم لا تضع الكتب في الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم؟» فقال: رضي الله عنه: «كتبي أصحابي»⁽¹⁾.

وهنا ندخل في المحور الثاني: التراث المنقبي؛ في الأصحاب والأماكن. جديرٌ بالذكر هنا أن نشير إلى أن بلد تونس المحروسة من أغنى بقاع الأرض بالأصحاب الأوليين للشيخ الشاذلي، فقد ترك من أصحابه في تونس - وغيرها من البلدان - من وضح، بل مهّد لنا طريق القصد الذي هو الطريقة الشاذلية. ومن أجل طویل بقاء الشيخ في تونس - ما يقارب عشرين سنة - فإن تونس غنيّة بهذا التراث المنقبي الشاذلي - حتّى اشتهرت بأصحاب الإمام الشاذلي الأربعين؛ منهم، أمثال: أبي عليّ سالم التباسي⁽²⁾، وعبد الوهاب المزوغي⁽³⁾، وأبي عبد الله محمد بن سلطان⁽⁴⁾، وأخيه

(1) العارف بالله ابن عطاء الله الأسكندري، لطائف المنن، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة: دار المعارف، 1999، ص 24.

(2) سيدي أبو عبد الله سالم التباسي، هو من الأربعين المذكورين في التعريف بالأولياء الأربعين (رقم 38). انظر تحقيقنا له في الملحقات حيث ورد: «ومن أصحابه - رضي الله عنه - الشيخ الصالح الزكيّ المقدّس المرحوم الوليّ البدل سيدي أبو عبد الله سالم التباسي، له مناقب لا تحصى، والدعاء عند ذكره وعند قبره مستجاب. توفي - رحمه الله - يوم الثلاثاء أواسط صفر من تاريخ إثنين وأربعين وستمائة (1242/642)، ودفن بالمصريين من تونس المحروسة.» قد صدر حديثاً تحقيق كتاب مناقب أبي عليّ سالم التباسي على يد الأستاذ أحمد الباهي (تونس: دار كونتراست للنشر، 2012).

(3) هو سيدي عبد الوهاب [المزوغي] الذي ذكر في التعريف بالأولياء الأربعين (رقم 40). انظر تحقيقنا له في الملحقات حيث ورد: «ومن أصحابه - رضي الله عنه - الشيخ الوليّ الصالح العارف البدل الزكيّ التقى المقدّس المرحوم سيدي عبد الوهاب ذو العلوم الوهبية والأنفاس الغيبية، له مناقب كونيّة في كتاب الشرف، توفي - رحمه الله - يوم الجمعة أواسط شهر رجب من تاريخ خمسة وسبعين وستمائة (1277/675)، ودفن بالحماري، وقبره معروف، ما دعى أحد عنده إلا أعطاه الله ما سأل ونال ما طلب. حكى عنه - رحمه الله تعالى - أن من زار قبره لا يرى مكروهاً قط، وقد جرب هذا كثير من الزائرين والمسافرين لإفريقية.»

(4) هو أبو عبد الله محمد بن سلطان المسروقي، وعدّ أبو عبد الله هذا في رواية أبي إسحاق الهنتاتي من عداد الأشياخ الأربعة الذين دفنوا بقبلة الزلاج، فهم من أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي (مناقب أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين، ص 41). قال أحمد التادلي: إنّ الشيخ الشاذلي لمّا «دخل مدينة تونس وسكن في مسجد البلاط، صحب بها جماعة من الفضلاء منهم

ماضي بن سلطان⁽¹⁾، ومحمد الحبيبي⁽²⁾، وعائشة المنوبية⁽³⁾، وأبي عبد الله البجائي

... وخادمه أبو العزائم ماضي بن سلطان وأخوه أبو عبد الله بن سلطان... كلهم أصحاب كرامات وآيات وحقايق ومعارف وبركات.» (أحمد التادلي الصومعي، كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1996، ص 303)، وهو من الأربعين المذكورين في التعريف بالأولياء الأربعين في ترجمة أبي محمد الحبيبي (رقم 9)، انظر تحقيقنا له في الملحقات. توفي رحمه الله في خامس عشر من شهر شوال عام واحد وسبع مائة (1302/701) كما ورد في النسخة الخاصة من مكتبة سيدي صلاح الدين المستاوي، صفحة 41 و؛ ولعله عن ابن الصبّاغ.

(1) ماضي بن سلطان: هو أبو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي. في رواية أبي إسحاق الهنتاني عن أصحاب الأربعين يقول: «ومن أصحابه - رضي الله عنه - الشيخ الولي الصالح الأجل سيدي أبو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي، وهو من قدماء أصحابه، وممن أظهر الله على يديه من الكرامات، وكان يخدم الشيخ كثيراً وكان لا يعصي له أمراً، وقبره ما دعا أحد عنده بدعوة إلا استجيب له، وكانت دعوته مقبولة. وزوروه لأنه رسول الشيخ فإنه قال: (من زارني صبيحة يوم السبت فإنه ما يموت حتى يبلغ مكة والمدينة بحال ربّاني) وقد جرب هذا فصيح.» انظر التعريف بالأولياء الأربعين (رقم 3). وفي «ص»: «توفي - رحمه الله ورضي عنه - بمدينة تونس في يوم الأربعاء الثاني والعشرون لشهر ذي قعدة من عام ثمانية عشر وسبع مائة، وهو ابن مائة سنة وستة عشر سنة أو نحوها». ص 66.

(2) - الشيخ الأجل الولي العارف سيدي أبو محمد الحبيبي توفي بتونس - حماها الله تعالى - (1293/693) وهو مدفون بقبلة الزلاّج في جبانة مباركة اجتمع فيها أربعة أشياخ من أهل الفضل والبركة، كلهم من أصحاب شيخنا سيدي أبي الحسن الشاذلي - رضي الله عنهم؛ منهم هذا الشيخ المبارك، ومنهم الشيخ الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله محمد ابن سلطان المسروقي، ومنهم الشيخ الولي الصالح الزاهد سيدي أبو محمد عبد العزيز الزيتوني - رحمه الله ونفع به. ومنهم الشيخ الولي الزكي المقدّس المرحوم سيدي هلال المسروقي - رحمه الله. ولقد رأى بعض أصحابنا سيّدنا الشيخ أبا الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - في المنام وقد نزلت به شدة فشكا ذلك إليه فقال له: «إذا نزلت بك شدة فأْت إلى قبر أبي محمد الحبيبي واصرخ إلى الله هناك وأنا صريخك إلى الله تعالى.» وفي الدرة: «وكان أول من صحبه (الإمام الشاذلي) بشاذلة سيّدنا الشيخ الصالح الولي المكاشف أبو محمد عبد الله ابن سلامة الحبيبي، من أهل شاذلة كان يحضر بتونس مجلس سيّدنا الشيخ الصالح العارف الفاضل أبي حفص الجاسوس وهو مشتمل في حولي، فيقول الشيخ - رضي الله عنه: (العوالي في الحوالي)، قال فأخذت بيده يوماً وقلت له يا سيدي: أتخذك شيعي، فقال لي: يا بني ارتقب أستاذك حتى يصل من المغرب شريف حسني من كبار الأولياء هو أستاذك وإليه تنتسب» (ص 8). ومن أولاد سيدي أبي محمد الحبيبي أبو عبد الله محمد الحبيبي وأبو العباس أحمد الحبيبي، أنظر الدرة (ص 169)، ونصنا هذا فقرة رقم 30 لقصة ازديادهما. وقد ورد عن أبي عبد الله محمد الحبيبي هذا عدد من الروايات في التراث المنقبي الشاذلي التونسي وعن أخيه أبي العباس أحمد أيضاً ولكن أقل. وقد دفنا في المسروقين.

(3) عائشة المنوبية واشتهرت بالسيدة المنوبية أو للاً المنوبية، واحدة من أشهر نساء تونس، تميّزت بتصوفها وأعمالها الخيرية، تتلمذت على أبو سعيد الباجي وأبو الحسن الشاذلي، وتلقّت دعماً من والدها لمواصلة تعليمها، واعتُبر بروزها كامراً على قدر عالي من التعليم والنشاط الدعوي والخيري حدثاً غير مألوف في عصرها، وقام أهالي منطقتها منوبة ببناء زاوية تكريماً لها

الخياط⁽¹⁾؛ وأما في المغرب فتستحق الإشارة هنا بأن ما نعرفه من أقوال وأحوال الولي الشهير مولاي عبد السلام ابن مشيش (1228/625)، كلها من التراث المنقبي الشاذلي؛ كما ورد في هذا التراث ذكر الأماكن المقدسة فيها مثل المغارة والمقام، وزاوية سيدي محرز، وجامع الصفصافة، وزغوان، وغيرهما. فاسمعوا إلى ما أخبرنا به محمد الخياط عن الإمام الشاذلي في الأماكن المشرقة في أحواز تونس: وقال سيدي محمد الخياط: «وقفتُ على رأس الجبل أنا والشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - قال لي: يا خياط، سرّ تونس حلة⁽²⁾ مفصلة وخياطتها، المقام متاع⁽³⁾ الزلاّج الفوقي، وطوقها المغارة، وصدرها محرز بن خلف⁽⁴⁾، وأكمامها⁽⁵⁾ الزلاّج والشرف، وبرها السلسلة⁽⁶⁾، وصبغتها رادس⁽⁷⁾، وعطفها جامع الصفصافة، وفصّالها سيدي أبو سعيد-الباجي، وجلاسها زغوان، وختامها الشكلي⁽⁸⁾، وكمالها في المغارة، ولابسها فقير عارف شاذلي⁽⁹⁾». [فقرة رقم 37 في التعريف بالأولياء الأربعين]⁽⁹⁾

حملت اسم «زاوية السيدة المنوبية»، ونالت هذه الزاوية مكانة هامة في التراث والتاريخ التونسي، تناولت شخصيتها العديد من الكتب والأبحاث التاريخية، بالإضافة إلى العديد من الأعمال الفنية سواء في الأناشيد الصوفية أو السينما.

- (1) خصه ابن الصباغ بالترجمة وروى عنه كثيرا من المناقب.
- (2) حلة: الثوب الجيد الجديد غليظا أو رقيقا، المعجم الوسيط.
- (3) ت: - متاع؛ وعبرة (ت): وهو مقام الزلاّج الفوقي.
- (4) أي خلوة سيدي محرز بن خلف (1022/413)، وقد سبق ترجمته.
- (5) ت: عماتها.
- (6) ح (في الهامش): مقبرة السلسلة.
- (7) رادس: قد مرّ ذكرها سابقا في فصل في «مناقب جامع الصفصافة» (رقم 25). انظر كتاب الدكتور أحمد الطويلي، رادس عبر العصور، رادس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1995، ص 52-53.
- (8) ص: لشكل.

(9) وأما عن أصحابه: فكما تكون زيارة هذه الأماكن المقدسة تكملة لسالك الطريق ومفتاحا للأسرار التي تكمن في الأحزاب كما أشار إلى ذلك الإمام بقوله: «وَلَا يَسْهَى فَقِيرٌ عَارِفٌ شَاذِلِيٌّ». وإذا كان أصحاب الشيخ الشاذلي كُتِبَ، فإيا لتونس من أصحاب الشيخ؛ وإيا لها من الثروة الغالية في التراث المنقبي من أصحاب الشيخ الشاذلي. وما شاء الله أن تكون تونس من أغنى البلدان بهذا التراث. فكتاب درة الأسرار لابن الصباغ [1333/733] يمثل هذا التراث أحسن التمثيل؛ وحديثا التحقيق والدراسة للدكتورة نللي العامري الأقوال والحكم المنسوبة إلى الشيخ عبد الوهاب المزوغي [1276/675]، وكتابها في مناقب سيدي أبو أبي سعيد الباجي [1230/628]، مناقب السيدة عائشة المنوبية [1267/665]، وأيضا للدكتور أحمد البخاري الشتوي تحقيق كتاب مناقب أبي سعيد الباجي، وللاستاذ أحمد الباهي كتاب تحقيق كتاب مناقب أبي علي سالم

من أمثال أصحاب الشيخ في تونس: أبو عبد الله محمد بن سلطان أخو ماضي بن سلطان - وأبو عبد الله هذا سيلعب دورا في تونس بعد خروج الإمام الشاذلي إلى الديار المصرية - وأبو محمد ما زال صبيا صغيرا. أهميته في تونس نفهم منه أن مناقبه هي أطول جزء منقبي من أصحاب الشيخ في درة الأسرار وأدقها لأنه كان أبو عبد الله بن سلطان شيخ والد ابن الصبّاغ. وترك لنا ابن الصبّاغ من أخبار أبي عبد الله ما نكاد نستوحى بأنّ أبا عبد الله هذا كان خليفة الشيخ الشاذلي في تونس. وقد تركه الإمام الشاذلي في تونس لسر من الأسرار، ثم أرسل من كبار أصحابه «ليربّي بها أبا عبد الله بن سلطان». «فجاء سيدي عبد الله القرطبي - توفي سنة 661 / 1263 - للمسروقين وأخذه منها ودخل به لتونس، فكانا يشتغلان بالخياطة، معتكفين على الأذكار وتلاوة القرآن في علو بداخل المدينة، وهو يرّبه ويسلكه.» ويحكي لنا ابن الصبّاغ عن أبي عبد الله بن سلطان في درة الأسرار ما نصّه:

كان سيّدنا الشيخ أبو الحسن - رضي الله عنه - يأتي إلى المسروقين - قرية من قرى تونس - وهي بلديهما وبها ولدا، فكان الشيخ ينظر إليه [أبا عبد الله محمد بن سلطان] وهو في المكتب ويتوسّم فيه الخير، وخدمه سيدي ماضي وتوجّه في صحبته للمشرق وبقي سيدي أبو عبد الله بالمسروقين وهو صبي صغير، وختن بين يدي الشيخ - رضي الله عنه. فلما أقام الشيخ بالمشرق وجّه إليه سيدي أبا عبد الله القرطبي⁽¹⁾ من كبار أصحابه؛ وقال له: «تمشي لتونس تربّي بها أبا عبد الله بن

التباسي [1242 / 642]، مجهودات الأستاذ نزار حمّادي في إحياء تراث الطريقة وخصوصاً كتب الإمام أحمد زرزق - رحمه الله - من دار الكتب الوطنية بتونس، مثل مفاتيح العزّ والنصر في التنبيه على ما يتعلّق بحزب البحر، والشرح الصغير على حزب البحر، وغيرها، ولا ننسى مؤلّفات الدكتور أحمد الطويلي - رحمه الله - في مناقب أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين وغيرها؛ فإنّ دلّت هذه المجهودات من العلماء الباحثين في تونس على شيء فإنما تدل على أهمية هذا التراث؛ وهذا قي المطبوعات؛ أمّا ما بقي من المخطوطات فهو كثير، فقد ألف الأستاذ هشام عبيد كتابه تونس وأولياؤها الصالحون في مدوّة المناقب الصوفية، وكأنّ هذا الكتاب موسوعة هذا التراث الموجود في دار الكتب الوطنية بتونس وغيرها من الخزانات. فانظروا هذه المؤلّفات ترون عجبا.

(1) وهو من الأربعين المذكورين في التعريف بالأولياء الأربعين (رقم 2)، حيث ورد: «ومن أصحابه - رضي الله عنه - الشيخ الولي الصالح العارف الكامل سيدي أبو عبد الله محمد القرطبي، كان سكناه خارج باب الجزيرة [توفي سنة 661 / 1263] بتونس المحروسة، له مناقب كثيرة، منها أنّه حكى عنه أنه ختم القرآن مائة ألف ختمة، وحفظ على يديه من الكبار والصغار خمس مائة رجل وكانوا من أولياء الله تعالى، وقبره تريقا مجرّب، ما دعا إنسان عنده دعوة إلّا استجيب له من حينه وتربته جوفي جبل الجلاز».

سلطان»، فجاء سيدي أبو عبد الله القرطبي للمسروقين وأخذه منها ودخل به لتونس، فكانا يشتغلان بالخياطة، معتكفين على الأذكار وتلاوه القرآن في علو بداخل المدينة، وهو يربيه ويسلكه. [درة الأسرار: مناقب أبي عبد الله محمد بن سلطان، رقم 1].

وفي درة الأسرار أيضا يحكي لنا ابن الصبّاغ قصّة عجيبة:

وحَدَّثني مَنْ أَثق به قال: «كُنْتُ معه يوماً جالساً وإذا به قام مسرعاً فاتبعته، جاء إلى الأَقْوَاس⁽¹⁾ التي عند بئر الأحواض⁽²⁾ فوق هنالك، وإذا بحطّاب بشبكة حطب وفوقها غراب مربوط عليها، فلمّا رأى الشيخ الغراب صاح كأنّه يستغيث به⁽³⁾ فقال له: (بكم هذا الغراب؟) قال له: (بدرهم)، فأعطاه درهماً وأخذ الغراب وقال له: (لِمَ غفلتَ عن ذكر الله حتّى خُصِلْتُ⁽⁴⁾)؟»، فحلّه وأطلقه وقال لى: (هذا الغراب أنشئ ولها أولاد وهي تزقّهم وتربّيهم، فخشيتُ أن يموتوا جوعاً وعطشاً فجبرتها على أولادها⁽⁵⁾). [درة الأسرار: مناقب أبي عبد الله محمد بن سلطان، رقم 3].

(البقية في العدد القادم)

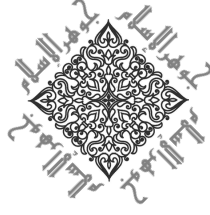
(1) ص: ومَرَّ يوماً على أقواس بين الأحواض. الأقواس: أقواس حنايا المستنصر التي تجلب الماء إلى تونس سجلت بعض بقايا بها بين برج زوارة والمعهد الفني. فيروي عبد النور في تقييده قول أبي الحسن: «قَدِمْتُ إفريقيّة فنزلتُ منها بمنزلة شاذلة الحنايا»؛ والحنايا جمعٌ للحنية، ومعنى الحنية في اللغة هو القوس (قاموس المحيط)، وفي المصطلح المحليّ هي دالة على سلسلة من الأقواس كانت تكوّن منها شبكة القنوات الرومانية (aqueduct) التي كانت تربط قرطاج بمياه جبل زغوان، وكانت تزوّد المنطقة بالماء منذ عهد الرومان؛ وقام بإصلاحها السلطان الحفصيّ، المولى المنتصر (ت 675/1277)، كما أشار إلى ذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع (ت بعد 860/1457) خلال وقائع عام 666، حيث قال: «وفي عام ستة وستين أكمل المولى المنتصر بناء الحنية العادية المجلوب عليها ماء عيون زغوان إلى مدينة قرطاجنة في الزمان المتقدّم، فجعل طائفة من الماء لسقاية جامع الزيتون ورّد باقي الماء لجنّة أبي فهر». (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، الأدلّة البيّنة النورانيّة في مفاخر الدولة الحفصيّة، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، تونس: الدار العربيّة للكتاب، 1984، ص 67-68).

(2) بئر الأحواض: كان يوجد زمن الحفصيين قرب الأقواس التي تكوّن الحنايا.

(3) الدرّة: - فلما رأى ... يستغيث.

(4) الدرّة: - وقال له ... خصلت. وخصل: أي خصل السهم خصلا وخصّالا، وقع بلزق الهدف، وخصل الهدف: أصابه.

(5) ص: فجئت برسمه.



مفاهيم إسلامية

زوال الحياء بداية الطامة ونذير الخراب

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

ليس اضر بمصالح الأفراد والجماعة وبحاضر الأمم ومستقبلها من انعدام الحياء وإهمال اللياقة في التصرفات الخاصة والعامة، وفي الأقوال والأفعال ذلك أن الحياء الذي هو صون اللسان عن البذاء واحترام عواطف الناس والوقوف عند حدود الآداب العامة شيء لا يكاد يختلف في نجاعته اثنان.

وبمراعاة هذه الأصول التي لا تكلف الأنفس شططا ولا ترهقها من أمرها عسرا يسود بين أفراد المجتمع احترام متبادل، وتجللهم أجنحة الحب والصفاء فإذا بكل أخ يقدر قيمة أخيه ويسعفه إذا ما احتاج إلى الإسعاف ويرشده إذا ما افتقر إلى الارشاد ويرثي له إذا ما كان في حالة تستوجب الرثاء.

وان هذا الذي نسميه نحن حياء وقد يسميه غيرنا بما يحلو له من الأسماء هو هدف نبيل من أهداف الإنسانية المثلى تحلى به رسل الله عليهم السلام وتحلى به الحواريون والصديقون فكسبوا من وراء ذلك رضى الله واحترام الناس ولم يهمل التنبيه عليه كتاب من الكتب السماوية المنزلة لأنه دعامة من دعائم العمران، واصل من أصول الفضيلة و(الحياء خير كله) كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أول فضيلة ترفع من الأرض مثلما يرفع القرآن ولهذا نرى المخلصين لله وللإنسانية في كل زمان ومكان يتألمون لانتهاك حرمة الفضيلة والخروج عن نطاق الحياء أكثر مما يتألمون لأي نفيس فقد لأنهم يعتبرون زوال الحياء بداية الطامة، ونذير الخراب،

ومقدمة الانحلال والتفسخ والزوال وان الخير والشر والصالح والفساد لا يمكن أن تحصل دفعة واحدة وبين عشية وضحاها بل يخضع وجودها لنواميس الطبيعة الكونية ولقاعدة النشوء والارتقاء.

وما الخير والشر والصالح والفساد إلا صفات لمتصفين بها فانتشار هذا وانتصاره وتقلص ظل الآخر وانهزامه هو مقرون بكثرة الأنصار المعتقدين وقتلتهم وبقوتهم وضعفهم، وبالمراكز التي يحتلونها في مجتمعاتهم ولهذا نرى هذه الحقائق تختلف في بلد عن الآخر رغم اتحاد العصر وتقارب المقومات ثم هي في البلد الواحد تختلف باختلاف المناطق والأشخاص وأنواع الفلسفات التي ينتهجونها في الحياة، ولعل هذا التنوع مما يجعل المؤمنين بالقيم والمدافعين عنها متمسكين دائماً بحبل التفاؤل بالمستقبل والمؤمن ليس بالقنوط ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وبهذا يزداد إيمانهم رسوخاً وتزداد عزيمتهم توثباً فينطلقون في مقاومة الانحرافات بكل ثقة وصبر وإيمان ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (ولن يغلب عسر يسرين).

إن من يسمع من الله ورسوله هذه البشرى لا يكون بعدها ناقماً متشائماً ينظر للحياة بمنظار اسود كلا، إن يرد اليقين وروح الأمل ليشلجان صدره وانه ليلتفت إلى إخوانه المنزلقين متأدباً بما أدب الله به حبيبته صلى الله عليه وسلم ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قائلاً لهم ذلك بلهجة لا حقد فيها ولا ضغينة وبوجه منطلق وثغر تعلوه ابتسامة العطف والحنان إن رصيد كل أمة في هذه الحياة هو قوتها الروحية، تلك القوة التي لا تغلب وذلك الجمع الذي لا يهزم، وان هذه القوة لا تبنى إلا على أساس من الإيمان الصحيح والعقيدة الراسخة وإنها لا تبنى على حساب غيرها ولا تتأثر بنصيب أختها التي هي في نظر العقلاء لا تقل أهمية عنها ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

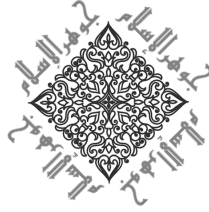
ان للقوة الروحية طريقاً واحداً هو طريق الله وللقوة المادية آلاف الطرق يتوخى المؤمن أقومها وأوضحها وما لا يعرفل سيره مع الطريق الآخر وما لا يتنافى مع ما تقتضيه الحقوق والواجبات التي سنّها الكتاب وأوضحتها السنة وان القرآن الكريم الذي اعد لكل أمر عدته وهياً الأحكام للحوادث قبل نزولها وسبق إبداع العلم في مجال الإبداع إن القرآن ليقول للمسلمين بكل وضوح وتأكيد ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿ وإن أول ما يصاب به الناس من عاهات خلقية هو تمزق جلباب الحياء وليس ذلك مقصوداً على جنس النساء دون الرجال كما يتصور بعض الناس بل هو بالعكس من ذلك فالمصيبة تبدأ من عميد العائلة لتسري بعد ذلك في الأعضاء إذ ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.

وان المتأدب الحيي والشاعر بما عليه لخالقه وما عليه للهيئة الاجتماعية لا يمكن في اغلب الأوقات إلا أن يكون أبناؤه وزوجه كذلك لأنهم على منواله ينسجون وبأخلاقه يتخلفون والولد نسخة من أبيه ومن هنا تظهر براءة الشباب مما يلصقه بهم كثير من الناس من معاييب ما كان الذنب فيها ذنبهم لو أنصفهم المتحاملون عليهم، وإنها والحق يقال عيوب آبائهم الذين اخذوا بأيديهم إلى ما هم فيه اما عن حب لذلك الاتجاه المعين أو عن إفراط في الرحمة والحنان الذين غالباً لا يرجى صلاحهم إلا على أيديهم، ولا يرجعون إلا إذا ارتطموا بصخرة الواقع ثم هم على مستويات مختلفة واتجاهات متنوعة وأمزجة متباينة وطريقة علاج كل نوع تختلف نسبياً عن طريقة علاج النوع الآخر وان الخطر الحقيقي ليس في الانزلاق العرضي والهفوة العابرة بل هو في الإضممار والتبسيب وتحريف الكلم عن مواضعه لان ذلك مخادعة لله وللمؤمنين ولقد صدق المولى سبحانه وتعالى إذ قال في هؤلاء وأمثالهم ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

إن اللغة العربية جعلت الأسماء قوالب لمسمياتها وإنها مثلاً عندما جعلت كلمة (تقدم) فإنها لم تجعلها مرادفة لكلمة تحلل أو تفسخ وعندما جعلت كلمة (رجعي) أو متخلف فإنها لم تجعلها أختاً لكلمة متدين لان المتدين الحقيقي سباق إلى ميادين الخير والتعمير والبناء والتشديد، وعندما يقول العربي أو المسلم (امرأة سافرة) أو أنا من أنصار السفور فانه لا يعني أبداً انه من أنصار التبرج الذي هو فعل الجاهلية الأولى والذي يتنافى مع الرجولة والغيرة ويأباه اكبر دعاة السفور وأنصار المرأة في هذا العصر أو في فجر النهضة،

لقد كيفت مقتضيات العصر أفكار الناس وعدلت مذاهبهم وأصبح في الإمكان أن يأتوا إلى كلمة سواء بينهم وإن ذلك متوقف على حسن النية والوقوف عند حدود الألفاظ فلا نحملها أكثر من معانيها لان ذلك ظلم للغة قبل كل شيء وظلم للواقع وللتاريخ وان أحوج ما يحتاج إليه الناس سلامة المقاصد وطهارة الضمائر. (وإنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ من الخير ما نوى).

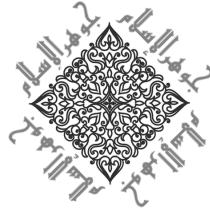


درس من فم العصفور

بقلم الأستاذ إبراهيم الربو

(خطب جليل وأمر عظيم ، ذلك الذي سمعته ، قد تكون القيامة أو شيء قريب منها أو ممهداً لها ، لم يسبق أن حدث في التاريخ شيء شبيه بهذا الذي يتوقع حدوثه في أية لحظة ،!! قد تكون مجرد إشاعة لا دليل على صحتها ، وقد تكون حقيقة ، لكن الحكمة والعقل يقتضيان الاستعداد لأي طارئ ، فكم من الحقائق بدأت بإشاعات لم يكن أحد لها من المصدقين ، وكم من الإشاعات تحولت إلى الحقائق وسط ذهول الناس واستغرابهم ،!!) هكذا قال ، واستمر متابعاً :- (لكنني أخذت الأمر على محمل الجد ، واعدت له عدته ، وها أنت تراني في هذا الوضع الذي استعد فيه للمشاركة في دفع تلك الطامة التي يُتوقع حدوثها ،!! لا يمكن للعقل إلا أن يحتاط حتى لا يُؤخذ على حين غرة ، فالحكمة تقتضي أن تستعد لأسوأ الاحتمالات ، وأن تقوم بواجبك كاملاً تاركا النتائج لتقدير خالق السموات والأرض ، نعم لا مناص من القيام بواجبك مهما كان ضئيلاً وهامشياً خاصة في مثل هذا الخطب الذي يتوقع أن يحل بهذا الكوكب ، قد تكون أضعف مخلوقات الله على أرضه ، قد تكون أقلها وزناً وأضعفها حيلة ، قد تكون أوهنها عظماً وأبخسها ثمناً ، قد تكون بلا أسنان أو مخالب ، وبلا سطوة أو جبروت ، لكن كل ذلك لا يعفيك من القيام بواجبك مهما كان تأثيره

تافها مقارنة بجهود الآخرين وواجباتهم في إطار الاستعداد لمجابهة ما سيحل بالكون،!! هذه عبارات لم ينطق بها حكيم ، أو يرددها مصلح ، أو يدعو لها مسؤول ، أو تردُّ على لسان مواطن يعرف قيمة وأهمية أن يقوم الفرد بواجبه ، لكنها عبارات ردها عصفور صغير كما أخبرتنا عنه الأسطورة التي تقول أن فارساً كان يجول في البراري بفرسه في رحلة صيد ، فرأى في طريقه عصفوراً صغيراً مستلقياً على ظهره ، مستنداً إلى الأرض بجناحيه ، رافعا رجليه في الهواء ،!! استغرب الفارس من وضع العصفور ، لم يرَ طائراً في حياته بهذا الوضع ، ظن في البداية أنه عصفور مريض ، فسولت له نفسه أن يمسك به ويأخذه ليعالجه ويقدمه هدية إلى ابنه الصغير المولع بتربية العصفافير وخاصة الجميلة منها ،، اقترب الفارس من العصفور ، وعندما صار على بعد أمتار منه اعتدل العصفور في وضعه الذي رآه عليه الفارس وطار بعيداً ،، ومرة أخرى استلقى على ظهره ، نفش ريشه استند إلى الأرض بجناحيه ، رفع رجليه في الهواء ، واستقر على ذلك الوضع محدقاً بنظره إلى السماء ، وكأنه يتقرب من خلالها شيئاً جلالاً ،، ازداد الفارس استغراباً وقال في نفسه لا بد أن وراء هذا العصفور قصة ، قد تكون به جنة أو همزة من همزات الشياطين ، أو ربما يعاني من لوثة عقلية جعلته يُقدم على ذلك الوضع الغريب غير المعهود في عالم الطيور ، قرر الفارس إعادة الكرة مرة أخرى ، لكنها لم تختلف في النتيجة عن سابقتها ،، العصفور يطير ، يبتعد ، يعود إلى نفس الوضع ، ولسان حاله يقول مخاطباً الفارس ، وإن عدتم عدنا ،!! عندها حافظ الفارس على مسافة لا تشعر العصفور بالخطر ، وخاطبه قائلاً :- أيها العصفور الجميل ، هلا أخبرتني بسرّك؟!! لم أرَ في حياتي - وقد جبت البراري والوهاد المليئة ببني جنسك - طائراً بنفس الوضع الذي رأيته فيك فيه ؟! ، كيف لك أن تستلقي على ظهرك الضعيف ، وتستند إلى الأرض بجناحيك ، رافعا رجليك الرقيقتين في الهواء ، مفرداً بين أظافرها التي لا تكاد تُرى من شدة نحافتها في وضع لم يألفه الناس في عالم الطيور ،!! نظر العصفور - وهو مستقر في نفس وضعه الغريب - قائلاً :- لقد سمعتُ أن السماء ستقع اليوم على الأرض فكان لزاماً عليّ أن أقوم بواجبي ،،!!!



الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله كما عرفته

بقلم الأستاذ أحمد المناعي

في شهر نوفمبر 1968 كنت في باريس أنهيًا لحدثين كبيرين في حياتي أولهما عقد زواجي من فتاة جزائرية من بلاد القبائل تعرفت عليها في تلك الفترة وثانيهما التحضير للرجوع النهائي إلى تونس.

على طول الفترة التي كنت فيها في الخارج فيما بين 1962 و- 1969 ست سنوات في فرنسا وسنة في الجزائر - كنت أرجع في الصيف إلى تونس ولم أنقطع عن البلاد وتابعت كل التغييرات والإصلاحات التي حدثت في المجتمع على كل مستويات الحياة. - ومع ذلك بقيت متخوفا من استمرار الأوضاع التي عرفتها وعشتها شخصيا وعانى منها التلامذة البياتة في المعاهد الثانوية التونسية بداية من مطلع الستينات . ولا بد أن نذكر بها،

في سنة 1961 في المعهد الثانوي للذكور بسوسة حيث كنت قيما وفي كل المعاهد التونسية عاملت الإدارة التلامذة الصائمين في شهر رمضان معاملة قاسية. كانوا يحرمون من السحور ويمنعون حتى من تخزين المأكولات للسحور أما وجبة العشاء فقد كانت تقدم في الأوقات العادية ودون مراعاة لأذان المغرب والافطار في رمضان وظل الأمر كذلك على طول الستينات.

بعد ست سنوات من الإقامة في فرنسا حيث كان لي بعض النشاط الاجتماعي والثقافي الإسلامي والذي عرف قمته بإنشاء جمعية «لمسلمي شرق فرنسا في

سنة 1966 « في مدينة نانصي لغرض تقديم الخدمات الدنيا للعمال وأكثرهم من الجزائريين الأميين من اعطاء دروس لرفع الأمية ومساعدتهم على تعمير أوراقهم وملفاتهم وكتابة رسائلهم إلى عائلاتهم أو للإدارة وارسال حوالاتهم البريدية إلى أهلهم في اخر كل شهر

كنت متخوفا من الرجوع إلى تونس حيث تهيمن ضبابية كاملة على العلاقات بين المواطن المتدين والإدارة فكتبت نصا رقتة زميلة لخطيبي في « البنك الوطني الباريسي » حيث كانت تعمل . وقد دعوت فيه الطلبة التونسيين إلى حوار حول « موقع الإسلام في المجتمع التونسي ».

ذات يوم (لا أذكر ان كان يوم جمعة أو يوم عيد الفطر) رحت أنا ومليكة خطيبي وإحدى صديقاتها الجزائريات نوزع المنشور على الطلبة التونسيين أمام جامع باريس . هي دعوة للطلبة في حوالي عشرين سطر للتفكير والنقاش في موقع الإسلام في الحياة العامة . الحقيقة أن التونسيين لم يكونوا كثيرين والطلبة أقل بكثير لذلك لم نوزع الا قليلا من المنشورات.

الشيخ الحبيب المستاوي

وفي لحظة ما رأيت شيخا ينزل درجات الجامع وهو يلبس جبة وابداعي وشاشية تونسية عليه كثير من المهابة والوقار وهو الأول الذي رأيته يلبس لباسا تونسيا في باريس منذ دخلتها.

فاتجهت نحوه وسلمت عليه وناولته منشورا فقال لي أنه لا يعرف الفرنسية وسألني عن محتواه . وشرحت له الأمر وكانت بداية العلاقة مع الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.

ذكر لي سي الحبيب شيئا من نشاطه في تونس من ذلك أنه اضافة إلى مهنة التعليم التي انخرط فيها من زمن بعيد كان عضوا في جمعية المحافظة على القرآن الكريم التي تأسست سنة 1967 وأنه قد أسس مجلة شهرية اسمها « جواهر الإسلام » وقد يكون قد أصدر عددها الأول في تلك المدة.

وقد دعاني إلى مراسلته والكتابة في شؤون الجالية التونسية والجالية المسلمة في المهجر . وفعلا تم ذلك وبعثت له بمقالين واحد بالفرنسية عن التونسيين في فرنسا نشر في العدد الثاني من المجلة فيما أعتقد ومقالا آخر عن اشكاليات التعريب.

بعد رجوعي إلى تونس أواخر سنة 1969 زرت الشيخ المستاوي مرتين في مقر المجلة المتواضع بنهج سيدي بومنديل كما التقيته في المرة الوحيدة التي زرت فيها مقر «جمعية المحافظة على القرآن الكريم» بمناسبة محاضرة ألقاها الشيخ العلامة المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور.

اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين

وقد دعوته لألقاء محاضرة على منبر اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين التي ترأسها لمدة سنة في 1970 1971- وأذكر أن محاضرتي لاقى نجاحا وتجاوبا كبيرين لدى الحضور اذ كثير منهم كانوا معلمين من قدماء طلبة الزيتونة. إضافة إلى أن المحاضرة قد أقيمت في دار الشعب التي أنجزت في تلك المدة والحديث عهد بالتدشين.

فالرجل على علم شرعي واسع ويملك أسلوبا جذابا في اقناع السامع باعتبار تجربته الطويلة والثرية في التربية والتعليم. وأذكر أن محاضرتي قد تناولت موضوع علاقة الدين بالدولة في مظاهرها العملية

التقيت الشيخ الفاضل أيضا في مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري بالمنستير في شهر أكتوبر سنة 1971. لم أكن من المؤتمرين ولا حتى منخرطا في الحزب بينما كان الشيخ من المؤتمرين وقريبا من شق أحمد المستيري الذي حضى في ذلك المؤتمر بموقع متميز.

وأذكر حادثة مضحكة-مبكية كادت تكون لها عواقب وخيمة على مجرى الأحداث في المؤتمر. حين دخلت بهو قصر المؤتمرات اعترضني ثلاثة من الأصدقاء من الوردانين وسألني أحدهم المرحوم فرج فرج الله عن بعد «سيد أحمد جبت سلاحك معاك والا لا؟ فقلت طبعا جبت».

في ذات الوقت كان المرحوم الشيخ المستاوي والسيد أحمد المستيري مقبلين في اتجاهي وما أن سمع الأخير هذه الفذلقة الماسطة أسمع بالالتجاء إلى القاعة بينما واصل الشيخ طريقه نحوي. وتجاوزنا أطراف الحديث حول أعمال المؤتمر ومن الغد صدرت كل الصحف بعناوين: «ميليشيا الوردانين في المؤتمر...». وقد وقع التحقيق الأمني مع فرج فرج الله وزميليه.

كانت «جمعية المحافظة على القرآن الكريم» مستهدفة من قبل المتربصين بكل هيئة أو جمعية أو تنظيم لغاية التسرب اليه والاندساس فيه لغاية الأنقضاض عليها في مرحلة لاحقة.

ويبدو أن الغنوشي ومورو قد بدأ بتنفيذ خطتهما بهذه الجمعية واغتتما رغبة انفتاح هيئتها على الشباب فانضموا اليها لكن ذلك لم يطل كثيرا فقد كان الشيخ الحبيب المستاوي أمين عام الجمعية بالمرصاد لهما.

كان سبب الخلاف الظاهري هو محاولة مورو - وقتها كان مورو الشاب البلدي القديم في ساحة الإسلامية في العاصمة هو البارز - ومن ورائه زمرة، الاندساس في الجمعية والتحكم فيها لكن الخلاف العميق كان أخطر بكثير ويتعلق بتصريحات مورو المكفرة لكل المجتمع وينسب له هذا التصريح: «إنّ خطنا السياسي هو خط الرفض لكل ما هو قائم بدءاً بالمجتمع الذي نعتبره كافراً وإن صلي وصام وحجّ، وكذلك الحزب الحاكم، فهو دائرة من دوائر هذا الكفر ومن دخل فيه يصبح كافرا» وهو ما أثار ثائرة الشيخ المستاوي أمينها العام واقدامه على طرد مورو بصفعة على الوجه.

الشيخ المستاوي توفي في سنة 1975 ولكني لم أسمع بذلك الا بعد سنوات عديدة حيث أنني كنت في الجزائر. ولم يتسن لي حتى تعزية أهله وبالخصوص نجله صلاح الدين الذي عرفته شابا.

ماذا أشعر الان نحو الشيخ المستاوي رحمه الله بعد أكثر من نصف قرن من لقائنا الأول وتواصل متقطع لم يدم طويلا؟

أشعر أنه لو كتب للشيخ المستاوي أن يعيش مدة أطول لكان له دور ايجابي وبناء في ارساء إسلام أكثر اعتدالا في المجتمع التونسي فقد كان يملك شبكة من علماء الدين والمثقفين والباحثين ظلت إلى ذلك العهد عصية على دعوات التطرف الاخواني لكن كتب على تونس وعلى غيرها من البلدان الإسلامية أن تعيش التجربة إلى النهاية

* رحم الله الشيخ الحبيب المستاوي رحمة واسعة

* في فرنسا أو في الجزائر في سنة 1965 -- 64

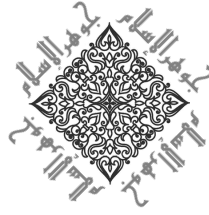
جمعية المحافظة على القرآن الكريم تم إنشاؤها سنة 1967 من قبل المرحوم صالح المهدي (زرياب)، مؤسس فرقة الأوركسترا في مدينة تونس تحت رعاية وزارة الثقافة وذلك بهدف الحفاظ على النمط التونسي في ترتيل القرآن الكريم. ولا علاقة بها بالصراعات اليسارية الإسلامية- اليسارية حسب الأستاذ أنس الشابي .

خلال السنة التي توليت فيها مسؤولية اللجنة الثقافية المحلية بالوردانين أمكن لي دعوة قائمة المحاضرين الشيخ الحبيب المستاوي- الشيخ البشير العريبي- د. صلاح الدين كشريد صيدلاني و مترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية- الصحفي الأيزلندي- السويدي عمر فلهلمسون الذي أسلم في القاهرة سنة 1958 وقدم لنا شريطا عن الصيد البحري في بحر الشمال- خمس طلبة أترك كانوا يحضرون رسائل دكتوراه في فرنسا وجاءوا إلى تونس لتحسين مستواهم في اللغة العربية وقد دعوتهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الوردانين- د. البشير التركي وقد كانت محاضراته محل جدل كبير كما سأبين ذلك في الورقة الخاصة به.

كتب اهداها الأستاذ صالح العود مشكورا لقراء مجلة جواهر الإسلام :

* خير المسالك في سيرة الامام مالك * مجمل الكلام في صحابة خير الانام عليه الصلاة والسلام * سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم * سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم * التوعية الصحية في الإسلام * كتاب فضيلة الشيخ الخضر حسين رحمه الله * التوجيه الاسنى بنظم اسماء الله الحسنى للشيخ الدردير رحمه الله * الصلاة في الإسلام * كتاب التجويد * الادعية النورية للشيخ علي النوري رحمه الله * المصحف المدرسي * القرآن الكريم كتابته وجمعه وتوثيقه من عهد الرسالة الخالدة الى عصر الخلافة الراشدة * أحكام الذبائح * منظومة الثنا * كتاب العلم * تحبير الكلام في شرح حديث خير الانام عليه الصلاة والسلام

بارك الله في جهود الشيخ صالح العود وكتب الله هذه الاهداءات المفيدة في سجل حسناته ونفع بها قراء مجلة جواهر الإسلام



قراءةُ كتاب الشِّفا للقاضي عياض بمركز التربية الإسلامية في باريس

بقلم: الأستاذ صالح العود / فرنسا

باحث وكاتب

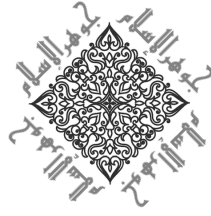
لَمَّا صَدَرَ في تونس كتاب (الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى / للإمام الأجل: القاضي عياض الأندلسي، المتوفى سنة (544 هـ = 1149 م)، تفضل الأستاذ النحرير، مدير ورئيس تحرير: مجلة (جوهر الإسلام) الغراء، الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله بإهداء المركز نسخة منه بعثها مشكوراً بتاريخ يوم السبت 5 رمضان 1442 هـ الموافق لـ 17 أبريل 2021 م.

ولما لهذا الكتاب من نفاسة، وأهميّة، تتعلّق بالشّمائل المحمدية، والأخلاق النبوية: (الخاصّة والعامة)، حتى إنه تُقام له مجالس ربانيّة، سواء في المغرب الأقصى، أو بلاد جامع الزيتونة في تونس الخضراء، فيُقرأ كاملاً في الأشهر الفاضلة، وهي (رجب / وشعبان / وذو الحجة / وربيع الأوّل) خلال جلسة واحدة مباركة في ساعة أو أكثر، حسب حضور العدد الذي سيتولّى قراءته.

وجرياً على هذه السُّنة الحميدة، رغبتُ شخصياً في أن أفتدي بتلك المجالس الروحانية في الأوطان الإسلامية، فنقرأه مع رُؤاد مركز التربية الإسلامية في باريس. وعيّنت له يوم الأحد 13 ذي القعدة سنة 1443 هـ الموافق 12 جوان 2022 م على الساعة العاشرة صباحاً بتوقيت باريس، وهي مناسبةٌ لنهاية السنة الدراسية بمدرسة

مركز التربية الإسلامية: (1443هـ = 2022م)، فحضر ذلك المجلس العظيم لأول مرة: العلماء، والخطباء، والدعاة: من باريس وضواحيها، يتقدمهم صاحب الفضل والفضيلة: الشيخ الرباني سيدي محمد صلاح الدين المستاوي، رفع الله قدره، ونفع به أينما حلّ أو ارتحل، فقرأناه إلى أن ختمناه في ساعتين زمنتين إلا خمس دقائق، ثم ألقى فضيلته كلمة جلية في الحضور، نوّه فيها بهذا المجلس، وأهمية كتاب الشفا ومؤلفه؛ وهذا بعض ما قاله حفظه الله: «لقد كان هذا الكتاب المبارك درة في جبين الزمان وكتب الله له القبول والانتشار في مشارق الأرض ومغاربها، جمع فأوعى ولم يترك شاردة ولا واردة من شمائل وخصائص المصطفى عليه الصلاة والسلام إلا وأتى عليها وحققها ودقّق فيها القول حتى أن القارئ لكتاب الشفا يكاد يتمثل له رسول الله ﷺ في خلقه وخلقه. وأقبل علماء الأمة على كتاب الشفا يشرحونه ويخرجون أحاديثه وآثاره وينظمونه شعرا ليسهل على الراغبين حفظه واستحضاره، مثلما عقدت ولا تزال تعقد المجالس في بلاد الإسلام مشرقا ومغربا لقراءته وختمه في المساجد والزوايا والمنازل خصوصا في الأشهر المباركة وفي المواسم الدينية.

» ثم دعا في الختام، وبعد ذلك جاءه الحاضرون يسلمون عليه ويشكرونه، لما حصل لهم من الخير العميم، والأجر العظيم، ثم تناولوا معه عقب ذلك، ما جاء به القائمون من إكرام تطيب له النفوس، وتلذّذ الأفواه والبطون، إلى أن تمّ انصراف الجميع.



الاجتهاد ضرورة العصر:
صوره، ضوابطه، رجاله،
الحاجة إليه

وثيقة القاهرة لتعزيز ثقافة الاجتهاد (التوصيات)

نص البيان الختامي للمؤتمر الدولي الثالث والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بحضور كوكبة من وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمفتين، والعلماء، والمفكرين، والمثقفين، والبرلمانيين، والإعلاميين، والكتاب، من مختلف دول العالم، انعقد المؤتمر الدولي الثالث والثلاثون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة تحت عنوان: ”الاجتهاد ضرورة العصر: صورته - ضوابطه - رجاله - الحاجة إليه“ يومي السبت والأحد 28 و 29 من صفر 1444 هـ الموافق 24 و 25 من سبتمبر 2022م، حيث أجمع المشاركون على توجيه الشكر لسيادة الرئيس/ عبد الفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية (حفظه الله) لرعايته الكريمة لهذا المؤتمر، وعلى ما لمسوه من إنجازات عظيمة تُذكر فتُشكر في عهد سيادته، مقدرين ما أجراه الله (عز وجل) على يدي سيادته من حفظ أمن وأمان مصر واستقرارها، والعمل الدؤوب على نهضتها وتقدمها، وعلى دعم سيادته للفكر الوسطي المستنير ونشر أسس السلام العالمي والعيش المشترك بين الناس.

وباستقراء بحوث المؤتمر، وبعد يومين متتابعين من العمل العلمي المتواصل في ثماني جلسات علمية انتهى المشاركون إلى إصدار البيان الختامي متضمناً أمرين:

أولاً: وثيقة القاهرة لتعزيز ثقافة الاجتهاد.

ثانياً: بعض التوصيات الأخرى.

*أولا : وثيقة القاهرة لتعزيز ثقافة الاجتهاد

إنه في يوم الأحد 29 من صفر 1444 هـ الموافق 25 من سبتمبر 2022م، وفي ختام أعمال المؤتمر الثالث والثلاثين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان: "الاجتهاد ضرورة العصر: صوره - ضوابطه - رجاله - الحاجة إليه" الذي عُقد بالقاهرة في الفترة من 28 - 29 من صفر 1444 هـ الموافق 24 - 25 من سبتمبر 2022م، بحضور دولي واسع من وزراء الأوقاف والشئون الدينية، والمفتين، والعلماء، والمفكرين، والمثقفين، والبرلمانيين، والإعلاميين، والكتاب، من مختلف دول العالم، أجمع المشاركون على إصدار وثيقة القاهرة لتعزيز ثقافة الاجتهاد، لتكون نبراساً يُستضاء به في هذا المجال وتتضمن الآتي:

* الاجتهاد ضرورة العصر وكل عصر ، وبابه مفتوح بل مُشرع إلى يوم القيامة، غير أن له أصوله وضوابطه ورجاله الذين أفنوا حياتهم في طلب العلم الشرعي وفهم أصوله وقواعده ومآلات الأمور ومقاصدها ممن يدركون فقه المقاصد والمآلات والأولويات، وتقديم المصلحة على المفسدة، ومتى تحتمل المفسدة اليسيرة لتحقيق المصلحة العظيمة، وكيف يكون الترجيح بين مصلحة ومصلحة باختيار أعظمهما نفعاً، وكيف يكون الترجيح بين مفسدة ومفسدة باختيار المفسدة الأخف منهما ضرراً.

* التأكيد على الحاجة الملحة لإرساء وترسيخ قواعد الاجتهاد وضوابطه، وبخاصة الاجتهاد الجماعي في القضايا التي لا يمكن الاعتماد فيها على الأقوال الفردية، والتي تتطلب الفتوى فيها خبرات متعددة ومتكاملة، ولا سيما في القضايا الاقتصادية والطبية والبيطرية والمناخية وشئون الهندسة الزراعية والوراثية وغير ذلك من مفردات حياتنا ومستجدات عصرنا التي تحتاج إلى رأي أهل الخبرة لتبني عليه الفتوى، فالرأي الشرعي في القضايا الحياتية المستجدة يُبنى على الرأي العلمي ولا يسبقه.

* ان الاجتهاد الذي نسعى إليه يجب أن ينضبط بميزان الشرع والعقل معاً، وألا يُترك نهباً لغير المؤهلين وغير المتخصصين أو المتطاولين الذين يريدون هدم الثوابت تحت دعوى الاجتهاد أو التجديد، فالميزان دقيق، والمرحلة في غاية الدقة والخطورة ؛ لما يكتنفها من تحديات في الداخل والخارج.

* ان المساس بثوابت العقيدة والتجرؤ عليها وإنكار ما استقر منها في وجدان الأمة لا يخدم سوى قوى التطرف والإرهاب وخاصة في ظل الظروف التي نمر بها؛ لأن الجماعات المتطرفة تستغل مثل هذه السقطات أو الإسقاطات لترويج شائعات التفريط في الثوابت؛ مما ينبغي التنبه له والحذر منه، فإذا أردنا أن نقضي على الشدد من جذوره فلا بد أن نقضي - كذلك - على التسبب من جذوره، فلكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه.

* ان شروط المجتهد الفرد يجب أن تتوفر في مجمل أعضاء المؤسسات العلمية الاجتهادية الجماعية المعتمدة متكاملين.

* الدعوة إلى تجريم الفتاوى الفردية في قضايا الشأن العام لغير المتخصصين، والعمل على توسيع دائرة الاجتهاد الجماعي المؤسسي .

* ضرورة الاهتمام بقضية الثابت والمتغير، والاستفادة من القياس على الأشباه والنظائر في ضوء فهم علل الأحكام ومقاصدها، وسعة الشريعة ومرونتها، وذلك لمواكبة النوازل والأمور الحادثة والطارئة والمستجدة مع الحفاظ على ثوابت الشرع الشريف .

* ان الاجتهاد في القضايا المستحدثة التي تواجه المسلمين وغيرهم في مختلف أنحاء العالم وبخاصة قضايا الأقليات المسلمة هو واجب الوقت؛ لرفع الحرج والمشقة عنهم، والإسهام في اندماجهم الجاد والبناء في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

* التأكيد على أن الاجتهاد العصري المنضبط وتعزيز ثقافته بين المجتمعات والأمم والشعوب هو الضمانة الأساسية لإثراء العقل الجمعي بالتجديد المستدام، وحماية البلاد والعباد من مغبة الجمود والتشدد والشذوذ الفكري والسلوكي، وأن الاجتهاد المعتبر هو الاجتهاد المبني على قواعد الشرع الراسخة، وأن مفهوم الاجتهاد بمعناه الصحيح يؤكد عظمة الشريعة الإسلامية ومرونتها وسعتها، ويعفي الأمة من فتاوى الجهال والمنحرفين وغير المؤهلين .

* التنبيه على خطورة الجمود وتداعياته ومخاطر الأخذ بظواهر النصوص أو استدعاء بعض الفتاوى التي ناسبت ظروفًا معينة في أوقات معينة وإسقاطها على غير مظاهرها، مع ضرورة تأهيل المجتهدين بالتأهيل العلمي: تفسيرًا وحديثًا وفقهًا وأصولًا

ولغة، مع دراسة الواقع وظروف الناس، وصولاً لصحيح الفهم والاجتهاد الذي يتسق وفقه الواقع ومقاصد الشرع.

*1. على علماء كل عصر أن يجتهدوا لزمانهم في ضوء مستجداته الحضارية، ومشكلاته الجديدة، من خلال التفكير والبحث العلمي، وإعمال العقل في فهم صحيح الشرع، مع التوصية بعمل موسوعة عصرية لقضايا الاجتهاد، وهو ما كلفنا به فريق العمل بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

*2. أهمية الاجتهاد الجماعي والمؤسسي؛ لأنه أكثر عمقاً ودقة، وأحرى إصابة، كونه يضم الكثير من العلماء والخبراء المتخصصين، كما أنه سبيل ضامن إلى اتحاد الرؤية في حل كثير من المشكلات.

*3. ضرورة إعداد جيل من العلماء وتكوين الكوادر العلمية الكافية التي تدرك مقاصد الشرع والمراد منها وتتوفر فيها شروط الاجتهاد وأحكامه وضوابطه؛ لتقوم بفرض الكفاية في تعاملها مع الأحداث والوقائع وإعمال العقل فيما يقع من النوازل الكبرى والحوادث المعضلة، والبحث عن حلول شرعية لها تتسق وفقه الواقع.

*4. ضرورة تفكيك خطاب التطرف، والعمل على نشر سماحة الإسلام ووسطيته، وبناء الوعي الصحيح حول مفهوم المواطنة التي هي ركن أصيل في بناء الدول.

*5. بيان أهمية التجرد في الاجتهاد، بآلا يشوبه ميل حزبي أو طائفي أو عرقي أو قبلي أو أي علة تخرج به عن مساره الصحيح.

*6. ضرورة نشر الوعي بين الناس بالتفرقة بين الاجتهاد والتقول بالرأي، فالاجتهاد قائم على أسس وقواعد وضوابط وشروط، أما القول بالرأي فلا أساس له وقد ينسب صاحبه إلى الشرع الشريف ما ليس فيه لعدم فهمه للنص وعدم تعمقه ومعرفته به.

*ثانياً : بعض التوصيات الأخرى

* ضرورة قيام المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية بنشر ما استقرت عليه المجامع الفقهية والعلمية في شأن خطورة التعامل مع العملات المشفرة بنظامها الحالي، حتى لا ينزلق الناس في تعاملات نقدية تدخل ضمن دائرة الغرر، مع التأكيد على أن رفض التعامل بالعملات المشفرة لا يرجع إلى عدم مواكبة المستجدات

العصرية وإنما يرجع إلى ما يحفها من جهالة وغرر، واشتمالها على المضاربة العشوائية، وعدم ضمانة الدول لها.

* التأكيد على أن صك النقود من الجهة الشرعية لا بد أن يكون خاضعاً لسلطة ولي الأمر لمنع الاتباس والفساد والمضاربة والغرر والتصرفات غير المشروعة داخل المنظومة النقدية.

* التأكيد على أن التلوث البيئي مشكلة إنسانية تستدعي تضافر الجهود للقيام على حلها بالاجتهاد والبحث العلمي المستنير، والكف عن كل نشاط يسبب تلوثاً بيئياً أياً كان نوع هذا التلوث .

* التأكيد على أن الشريعة الإسلامية قد دعت للحفاظ على البيئة وحمايتها ورعايتها، والمحافظة على مواردها من الاستنزاف وسوء الاستخدام وكل ما يضر بها، ونهت نهياً شديداً عن الإفساد في الأرض، ومنه إفساد البيئة الذي يعد من التجاوز المنهي عنه.

* أهمية نشر الأبحاث والدراسات المتعلقة بالبيئة ووسائل الحفاظ عليها على نطاق واسع لتصبح ثقافة إنسانية مشتركة، مع العمل على إيجاد وعي بيئي جماعي بالدور الحيوي الذي تؤديه المناطق الخضراء بصفة عامة والتشجير بصفة خاصة، حيث يعد الحفاظ على المناطق الخضراء وعلى سائر المقومات البيئية مطلباً دينياً واجتماعياً ووطنياً.

* الدعوة إلى التعاون والتلاحم الدولي من أجل مقاومة التعدي على البيئة، والترويج الثقافي لمخاطر التعدي عليها وكيفية الوقاية من مخاطرها، مع تكاتف الجهود الدولية في تفعيل المبادئ الحاكمة والقوانين الرادعة لتصرفات المتسببين في تلوث البيئة على جميع المستويات الوطنية والدولية.

وفي هذا الصدد يشيد المشاركون في المؤتمر باستضافة جمهورية مصر العربية لمؤتمر المناخ الذي سيقام بمدينة شرم الشيخ في شهر نوفمبر من العام الحالي، ويؤكد المشاركون في مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الثالث والثلاثين على ثقتهم الكاملة في قدرة الدولة المصرية على تنظيم مثل هذه المؤتمرات العالمية، مقدرين دور مصر في خدمة القضايا الدولية والإنسانية .

إعلان مراكش للملتقى الروحي الدولي الثاني لمولاي علي الشريف، دفين مراكش،

في موضوع: «منهج التصوف السني في الهوية المغربية بين الأصل والممارسة:

«استمداد وائتمان من بيت النبوة الشريف»

23 - 24 أكتوبر 2022

مراكش المملكة المغربية

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق
والمرسلين، وعلى صحابته وعترته أهل الجود والإفضال والكرم.
وبعد،

فقد توافقت الأمة المغربية ملوكا وشعبا عبر التاريخ على ثوابت أصيلة اعتقادا
وفقها وسلوكا، ثوابت يطبعها التمسك بالكتاب والسنة الشريفة سلوكا وعملا، ثم
الوسطية والموازنة بين مطالب الروح والجسد، وهكذا تشكل بنيان الهوية المغربية
منذ قرون خلت من العقيدة الأشعرية، وفقه إمام دار الهجرة، ليكتمل بلبنة التصوف
السني العملي على طريقة الجنيد السالك، والتي تركز على تخلية النفس من الأهواء،
والتحلي بالأخلاق المحمدية المستمدة من منبعها الصافي بيت النبوة الشريف،
والالتزام بالسنة العطرة ورفض الانزياح عنها، أو الانحراف عن نهجها القويم، ولا
شك أنها لبنات تبعث على الطمأنينة والارتياح، وتثمر بناء الإنسان المتوازن وربطه
الروحي بمولاه عز وجل في كل فكر وسلوك، حتى يبصر غاية وجوده، ويرتقي في
أعلى مراتب التزكية.

وقد كان للمغاربة عبر التاريخ ارتباط وثيق بالتصوف السني، فنهلوا من معينه
العذب والصافي؛ فقد أنعم الله على هذه الأمة الأبية بعلماء أفاض؛ وقيض منهم في
كل جيل وقرن من يحفظ لها أمور دينها، وينفي عنها شبهات المبطلين وتحريف
الضالين؛

فقدوا وهذبوا وميزوا واقتبسوا من أنوار النبوة الساطعة وعطرته الشريفة، فأسسوا لتجربة إنسانية وحضارية غنية، تفوح بأسرار وفضائل زكية، ويسطع نورها ليقّتي ويهتدي بها كثير من المجتمعات الإنسانية في شتى بقاع المعمور.

وفي هذا الصدد، وفي شهر الربيع النبوي احتضنت مدينة العلم والعلماء والصلحاء والأولياء مراكش الحمراء بالمملكة المغربية يومي 23 و24 أكتوبر 2022 الملتقى الروحي الدولي الثاني لمولاي علي الشريف دفين مراكش في موضوع «منهج التصوف السني في الهوية المغربية بين الأصل والممارسة: استمداد واثمان من بيت النبوة الشريف» الذي نظّمته مؤسسة مولاي علي الشريف بشراكة مع وزارة الشباب والثقافة والتواصل، وجامعة القاضي عياض، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، والأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بمراكش، والاتحاد العربي الإفريقي للثقافة والتنمية بدولة السنغال، وبتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط. وذلك بمشاركة ثلة من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية بمختلف البلدان المغاربية والعربية والإفريقية وأمريكا، وبحضور أساتذة وباحثين من الجامعات الوطنية والدولية.

وقد عكف المشاركون طيلة أيام الملتقى على بيان الرعاية السامية التي يوليها سلاطين الدولة العلوية الشريفة للعلم والعلماء من جهة، وللمدارس والزوايا من جهة أخرى، وكان لهذه الرعاية والاهتمام بالطرق الصوفية الأصيلّة أثر بالغ في انتشار التصوف في مختلف مراكز العلم بالمغرب، بل تجاوز الآفاق جنوبا وشرقا، وتخطى البحار شمالا وغربا، فكان بحق خير سفير للتجربة المغربية العريقة في التواصل الروحي ونشر التصوف السني.

وقد كانت المداخلات التي تتسم بالأصالة والانسجام والتكامل كاشفة لأنوار التصوف السني المغربي وأبعاده الروحية، ومقعدة لأصوله ومبينة لأدواره الإصلاحية والديبلوماسية، وبأسطة لفضله في استتباب الأمن الداخلي، ومبينة لمزاياه وآثاره في نماء الذات وبناء الأوطان، وموضحة لأصول ومنابع بعض طرقه، وانتقدت بعض ما تسرب لهذا الإرث الروحي من بعض التحريفات التي اتخذت التصوف وسيلة وغاية لخدمة أهوائها ونزواتها، كما كشفت أهم ما تختزنه التجربة المغربية في التصوف من قيم تربوية نبيلة، وبيان دورها في تشكيل الهوية المغربية، وتحقيق الأخوة والأمن الروحي والاجتماعي للمغاربة عبر التاريخ.

وقد انبثق عن هذا الملتقى العلمي المبارك مجموعة من الخلاصات والتوصيات والمقترحات التي من شأنها ترسيخ الثوابت الوطنية، والحفاظ على الهوية المغربية الفريدة، وتثمين الجسور التي أسهم في بنائها مع مختلف دول المعمور، ومن أهم هذه التوصيات:

- تثمين الرعاية المولوية التي يوليها صاحب الجلالة الملك محمد السادس للمؤسسات والمراكز التي تعمل على ترسيخ الثوابت الدينية والوطنية.
- الدعوة إلى مزيد العناية والاهتمام بالبحث العلمي والأكاديمي في هذه الثوابت لإنصافها وبيان أهمية التمسك بها، ولإظهار حقيقتها بعيداً عن كل تأويل أو تحريف أو سوء فهم يُجانب الصواب، ويُبعد التصوف من الاستمداد من ينبوعه الصافي والظاهر المُتمثل في بيت النبوة الشريف.
- تفعيل الدبلوماسية الدينية والتعريف بالمدارس الصوفية المغربية وبيان أصولها ومشايخها، وربط جبل الود والتواصل بأماكن انتشارها.
- الحرص على تنزيل مُخرجات البحث في التصوف المغربي واعتمادها في برامج تربوية وتعليمية للناشئة في المدارس وكافة المؤسسات التعليمية.
- تربية الناشئة على قيم التصوف النبيلة من قبيل الاعتدال والتعاون والعطاء، وجهاد النفس ونبد الغلو والتطرف.
- الانفتاح على المؤسسات التعليمية لتعريف طلبة العلم بمكونات الهوية المغربية، والعمل على ترسيخها لديهم حماية لهم من كل أنواع الاستيلاء والانحراف.

وحرر بمراكش بتاريخ. 24 أكتوبر 2022 / م.

البيان الختامي للمؤتمر الخامس والثلاثين للسيرة النبوية المشرفة ومؤتمر هيئة علماء المسلمين

القيم الاخلاقية في السيرة النبوية وأثرها في نشر السلام حول العالم

(نواك شط - موريتانيا 24 - 26 ربيع الأول 1444 هـ / 21-23 أكتوبر 2022)

تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد محمد بن الشيخ الغزواني، وبإشراف مباشر من وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي، انعقد بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي والتجمع الثقافي الإسلامي بموريتانيا وغرب إفريقيا المؤتمر الخامس والثلاثون للسيرة النبوية الشريفة ومؤتمر هيئة علماء المسلمين، وذلك بمدينة نواكشوط أيام 24 - 26 ربيع الأول 1444 هـ / 21 - 23 أكتوبر 2022 م.

وقد حضر المؤتمر معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس هيئة علماء المسلمين، مصحوبا بوفد كبير عالي المستوى من الرابطة. كما حضره عدد من وزراء الشؤون الدينية وكبار المستشارين الدينين في الدول الإفريقية ورؤساء مجالس إسلامية وهيئات إفتاء وأئمة وعلماء ومفكرون من 53 دولة هي - بالإضافة إلى موريتانيا - المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية والسنغال والجزائر ومالي وفلسطين ومصر وأثيوبيا وإفريقيا الوسطى والتوغو والسودان والصومال واليابون والكاميرون والكونغو الديمقراطية والكونغو برازفيل والنيجر وأنغول وأوغندا وبتسوانا وبريطانيا وبنين وبوركينا فاسو وبورندي وتشاد وتنزانيا وتونس وجزر الرأس الأخضر وجنوب إفريقيا وجنوب السودان وجيبوتي ورواندا وزامبيا وساحل العاج وسيراليون والسيشل وغانا وغينيا وغينيا بيساو وجمهورية القمر وكينيا وليبيا وليبيريا ومالوي ومدغشقر ومملكة اسواتيني ومملكة لسوتو وجزيرة موريس والموزمبيق وناميبيا ونيجيريا.

كما شارك في المؤتمر جمع غفير من العلماء والأئمة والمثقفين والإعلاميين والساسة وصناع الرأي، وممثلي هيئات المجتمع المدني في موريتانيا، فضلا عن بعض السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية، والنواب والعمد.

وانتظمت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بحضور جمع من النساء المؤمنات تتقدمهن صاحبنا المعالي حرم رئيس الجمهورية وحرم الوزير الأول.

وقد افتتح المؤتمر معالي السيد الداه بن سيدي بن اعمر طالب وزير الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي، بحضور معالي السيد إبراهيم فال محمد الأمين وزير التهذيب الوطني وإصلاح التعليم، وعدد من كبار المسؤولين في الدولة.

وفي كلمته، قال معالي الوزير إن نبينا عليه الصلاة والسلام هو آية الله الكبرى في تجسيد القيم والأخلاق الفاضلة، التي كانت المقصد من بعثته، وهو المثل البشري الأعلى في الوفاء والصدق والأمانة والإيثار والتواضع والنجدة والشجاعة والرحمة واللين واللطف والإحسان. وذكر معالي الوزير بالحاجة إلى المتح من معين تلك القيم النبوية الراقية وإشاعتها وإدراجها في المناهج التربوية، وإعداد برامج الأمة وفق هذه القيم، وأشار في هذا الصدد إلى ما تعهد به فخامة رئيس الجمهورية من الدفاع عن شريعتنا الغراء وقيمها السمحة وعدم قبول أي انتهاك لهذه القيم، كما تعهد في الوقت ذاته برفض أي توظيف منحرف لديننا الذي يشكل العروة الوثقى الضامنة لوحدتنا».

وتناول الكلمة في الجلسة الافتتاحية ضيف الشرف معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس هيئة علماء المسلمين، فتحدث على الخصوص عما علمتنا إياه السيرة النبوية العطرة من الرحمة واليسر والإعراض عن الجاهلين والسماحة والصفح والحكمة وتأليف القلوب واستيعاب الناس، وغير ذلك من مبادئ الدبلوماسية الإسلامية الراقية التي جسدها الصحيفة (وثيقة المدينة المنورة) أبرز وأهم وثيقة في التاريخ تنظم التنوع الاجتماعي على أساس عظيم من السماحة. وهي وثيقة استلهمت منها وثيقة مكة المكرمة التي وقعها أكثر من 1200 عالم ومفت. كما تحدث معالي الأمين العام عن مبادرة الرابطة بإطلاق متاحف السيرة النبوية وعرضها بأحدث التقانات المعاصرة وجعلها تتجول حول العالم لإبراز جواهر السيرة النبوية المشرفة.

وفي كلمته خلال جلسة الافتتاح، توجه سماحة الشيخ محمد الحافظ النحوي رئيس التجمع الثقافي الإسلامي بالشكر إلى فخامة رئيس الجمهورية وإلى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورحب بالضيوف والحاضرين، وقال إن المؤتمر يستلهم من الآية الجامعة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وهو يشكل

محطة من محطات السير مع الحبيب صلى الله عليه وسلم، من أجل أن نعيش معه باتباعه والتخلق بخُلُقهِ عليه الصلاة والسلام وأن نعمل كما لو كان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا معنا اليوم، وفقا لقوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ .

كما تحدث في الجلسة عدد من الوزراء ورؤساء الهيئات الإسلامية العليا، وعرضت فيها رسالة صوتية من فضيلة الشيخ سعيد الكملي (من المغرب) الذي عضله عارض عن الوصول قبل جلسة الافتتاح. وقد دارت أعمال المؤتمر حول موضوع « القيم الأخلاقية في السيرة النبوية وأثرها في نشر السلام حول العالم »، وهو موضوع تطرق إليه المتحدثون في جلسة الافتتاح والجلسة العلمية العامة، وفي ست جلسات محورية خصصت لتدارس المحاور الفرعية التالية في ضوء هدي النبوة: - المقاربات التربوية لمعالجة التطرف والغلو - المقاربات التنموية لمعالجة التطرف والغلو - إصلاح ذات البين وحل النزاعات بالقوة الناعمة.

وأثناء المحاضرات والعروض والمناقشات التي جرت في مختلف جلسات المؤتمر، خلص المشاركون إلى التذكير بالمبادئ والتوجهات العامة الأساسية التالية:

* - الاختلاف سنة كونية طبيعية لا ضير فيها، بل فيها خير كثير إذا تحلى الناس بأدب الخلاف وأنصف بعضهم بعضا واحترم بعضهم بعضا، وتجنبوا محاولة التحجير على فضل الله، وبذلوا الوسع في تطبيق الأمر الشرعي بالاعتصام بحبل الله الجامع، ومغالبة دواعي التفرقة والتنازع.

* - ظاهرة الغلو والتطرف ظاهرة عالمية عابرة للبلدان والأزمان والأعراق والأجناس، لا وطن لها ولا جنس ولا عرق ولا دين، وإصاقتها بالإسلام ظلم مبین، فقد ظهر من هذه الظاهرة في الأمم الأخرى والديانات الأخرى أضعاف أضغاف ما ظهر بين المسلمين، بل إن المسلمين كانوا من أبرز ضحايا هذه الظاهرة حين كانوا من أبرز صناعاتها.

* - الإسلام دين الرحمة والسلام والوسطية، وقد دعا إلى نبذ التطرف والغلو والإفراط ولو في العبادة كما حذر من التهاون والتخاذل والتفريط، وحث على التأخي والتعاون على البر، والإنصاف في المسائل التي يسع فيها الاختلاف، ودعا المسلمين إلى أن يكونوا كالبنیان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

* - للغلو أسباب كثيرة لا سبيل إلى معالجته إلا بالتعرف على أسبابه العميقة ومنها أسباب سياسية مثل الاستكبار والظلم والاحتلال - كما هو واقع في فلسطين

- وازدواجية المعايير الدولية في التعامل مع المظالم الإنسانية، والاحتكام للقوة بدل الشرع والقانون .

ومنها أسباب تربوية تتمثل في الجهل بالدين والقراءة الخاطئة لبعض مفاهيمه والتعصب الأعمى، وغياب أو ضعف التعليم الشرعي والتربية القيمية في النظام التربوي المعاصر، وعدم تكيف التعليم الإسلامي العريق مع التغيرات المعاصرة، تكيفا يعتصم بالثواب ويلبي حاجة المتغيرات. وللغلو والتطرف أيضا أسباب اقتصادية منها انتشار الفقر واتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء. وهي كلها أسباب تتطلب علاجا من أصدادها مثل معالجة الجور بالعدل، والجهل بالعلم والتربية، والعصبية الضيقة بالإخاء، والفقر بالعيش الكريم والتكافل الاجتماعي والإيثار.

وعلى ضوء هذه المبادئ والتوجهات، خلص المشاركون إلى التوصيات التالية:
أولا - دعوة حكومات الدول الإسلامية إلى ما يلي:

- إدراج التربية الدينية في مناهج التعليم الرسمية، والاعتناء بالتعليم الشرعي في جميع مراحل التعليم وسائر تخصصاته.

- تطبيق مبادئ الحكم الرشيد في تسيير الشأن العام، بما يضمن إشاعة قيم العفة المالية والعدل بين الناس وحسن تدبير الموارد المتاحة وتسخيرها لأغراض التربية والتنمية المستدامة وتقليص الفوارق بين الأغنياء والفقراء.

- السعي بالتعاون مع هيئات العمل الإسلامي للاهتمام بالمدارس القرآنية ودعمها والتجسير بينها وبين مؤسسات التعليم النظامي، بما يضمن لها دورا أساسيا في التنشئة الاجتماعية وفي تهيئة طلبتها للاندماج في الحياة النشطة لأداء دور أفضل في إعمار الأرض وفي تدبير المعاش والمعاد وفي قيادة المجتمعات والدول.

- تقوية عرى التضامن الإسلامي بأن يشد القوي عضد الضعيف والغني أزر الفقير، ويعلم أن الغني دولة كان أو مجتمعا أو مؤسسة أو فردا صمام أمانه في غناه إنما هو الرد من فضول الأموال على الفقراء، دولا كانوا أو مجتمعات أو هيئات أو أفرادا، تطبيقا لقوله تعالى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾، فإن ذلك يسيل سخيمة الحسد والغل والشعور بالغبن ويسد منفذا كبيرا من منافذ الغلو والتطرف.

- مواجهة مخططات وأعمال التغول الصهيوني على المسجد الأقصى وسائر المقدسات في فلسطين مواجهة حازمة وتعبئة الرأي العام الدولي من أجل وقف هذه الأعمال ومؤازرة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل استعادة وحدة صفه واسترجاع حقوقه على أرضه.

- السهر على تكييف الاتفاقيات الدولية مع مبادئ الشريعة حتى لا يكون اعتمادها ماثرا للبلبله والاضطرابات الاجتماعية في البلدان الإسلامية.

- العمل بالتعاون مع هيئات المجتمع المدني والأهلي وأولياء الأمور على وضع وتنفيذ برامج نموذجية لشغل وقت الناشئة بما ينفعهم ويعزز مناعتهم الفكرية ويحصنهم من الآثار السلبية لثورة المعلومات، ويجنبهم الانجراف خلف ما ينتشر في العصر الحاضر من دواعي الانحراف.

ثانيا - دعوة رابطة العالم الإسلامي والتجمع الثقافي الإسلامي للتعاون فيما بينهما ومع غيرهما من أجل تحقيق الأمور التالية:

- عقد مؤتمر خاص بإصلاح ذات البين داخل الأمة ومجتمعاتها والتمهيد لذلك بتشكيل لجنة حكماء من علماء الأمة المتسمين بسعة الأفق والحرص الصادق على وحدة الأمة والمتمكنين من فقه الدعوة، لتؤدي هذه اللجنة دور الإطفائي ورجل الإسعاف في معالجة النزاعات البينية داخل الأقطار والمجتمعات الإسلامية وبين بعضها وبعض، بما يجعل الأمة سيدة قرارها في حل نزاعاتها بالقوة الناعمة، قوة الفكر والفقه والدعوة بالحكمة والجدال التي هي أحسن والحوار الهادف المقنع.

- تعبئة الموارد والجهود من أجل تلبية الاحتياجات الدينية والتربوية والاقتصادية للمجتمعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، وعلى وجه يمكن لهذه المجتمعات في بلدانها ويتيح لها أن تكون بالأحوال والأعمال قبل الأقوال قنوات ناجعة للدعوة إلى الإسلام والإفصاح عن صورته الناصعة؛

- السعي بالتعاون مع سائر مؤسسات العمل الخيري والإنساني إلى الاهتمام في العمل الخيري بتأمين الكفاية المعيشية للفقراء من خلال المشروعات التنموية المستدامة.

- التعاون فيما بينهما ومع الهيئات الأخرى والحكومات الإسلامية من أجل وضع وتنفيذ برنامج نموذجي لتكوين الأئمة والدعاة على مبادئ وحدة الأمة وتعزيز لحياتها واجتناب ما يبعث من سوء التفكير على التكفير لمجرد الاختلاف في النظر والتأويل.

- اتخاذ ما يلزم من تدابير تجاه سائر المنظمات وهيئات المجتمع المدني العاملة في حقول الدعوة والتربية والثقافة والعمل والخيري بكل أنماطه، لتنسيق الجهود بما يضمن التكامل بينها والنجاحة في بلوغ الأهداف وعدم هدر الوقت والموارد.

هذا وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان.

حرر في نواكشوط بتاريخ 26 ربيع الأول 1444 هـ / 23 أكتوبر 2022

رابطه بني العباس في موريتانيا تكریم مشكور

بقلم نقيب بني العباس في موريتانيا محمد بن بياه الهاشمي العباسي

الحمد لله القائل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم» وبعد فإن الأمانة العامة لبني العباس، هيئة ليس لها نفع ربحي، هي مؤسسة تهتم أساساً بأنساب الأشراف العباسيين، ومد جسور المحبة والتواصل بين الشعوب، ولها مجالات أخرى كنشر العلم والثقافة والتعاون على البر والتقوى، ونبد العنف ومكافحة الغلو والتطرف، كذلك لها دور بارز في المجال الخيري التطوعي،

وبما أنني أمين عام، لهذه المؤسسة في الجمهورية الإسلامية الموريتانية فقد حضرت قبل أيام في القصر الدولي للمؤتمرات بنواكشوط، بدعوة كريمة من التجمع الثقافي الإسلامي الذي يرأسه الشيخ محمد الحافظ النحوي، وكنت قد تشرفت بمقابلة كوكبة من العلماء والمفكرين من مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي، وكان من بينهم الدكتور الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي، الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى بتونس (سابقاً)، ونظراً لسعة علمه واهتمامه بالعلم ونشره وخصوصاً المذهب المالكي، قدمت له هدية تتناسب مع مكانته العلمية والمعرفية، عبارة عن موسوعة في الفقه المالكي تتمثل في أكبر شروح مختصر خليل في الفقه المالكي، ألا وهو كتاب (لوامع الدرر، في هتك استار المختصر)، للعلامة الجليل محمد بن محمد سالم المجلسي، أشير إلى أن الكتاب قد طبعته دار الرضوان التي يملكها رجل الأعمال ورجل الدنيا والآخره أحمد سالك بن أبوه الموسوي وختاماً أشكر الشيخ صلاح الدين المستاوي، على رحابة صدره وأخلاقه الرفيعة، ومن خلاله أبعث خالص التحية إلى الشعب التونسي الأبّي الذي لا ننسى أنه أول بلد عربي يعترف بدولة موريتانيا ولا زالت تأشيرة الدخول غير ملزمة بين البلدين من ذلك التاريخ حتى اليوم.

البيان الختامي للملتقى التاسع لمنتدى أبوظبي للسلم (عولمة الحرب وعالمية السلم المقتضيات والشراكات)

أبوظبي 14-16 ربيع الثاني 1444 هـ / 08-10 نوفمبر 2022 م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة
للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد،
فانطلاقاً من قول الله عز وجل ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: 2]،

واستجابة للتحديات الوجودية التي تواجه الإنسانية جمعاء، من تحديات الأزمة
الصحية التي لا تزال تلقي بظلالها على أجزاء من العالم إلى تحديات الاقتصاد
والتضخم الذي تشهده الأسواق العالمية، إلى تحدي الأمن والحروب والتوترات
الحاصلة في مناطق من العالم،

واستشعاراً للحاجة إلى تكامل الجهود، كلّ من موقعه ودائرة تأثيره، للإسهام
في استعادة الضمير الأخلاقي للإنسانية، الذي يعيد الفاعلية لقيم الرحمة والغوث
ومعاني التعاون والإحسان،

ووعياً بأهمية معالجة نزغات الحروب في العقول ونزعاتها في النفوس قبل أن
تتحول إلى أفعال تدمّر البلاد وتفني العباد،

واستثماراً لما راكمه المنتدى من نتائج منذ تأسيسه سنة 2014، وما ظل يسعى
له من توفير فضاء للعلماء والباحثين العاملين على نشر رسالة السلم والتعاون على
الخير،

واستلهاماً للرؤية الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة، والتي عبّر عنها
صاحب السمو رئيس الدولة الشيخ محمد بن زايد حفظه الله في خطابه في شهر يوليو
الماضي قائلاً: «ستظل سياسة دولة الإمارات داعمة للسلم والاستقرار في منطقتنا
والعالم.. وعوناً للشقيق والصديق.. وداعية إلى الحكمة والتعاون من أجل خير
البشرية وتقدمها»،

انعقد بأبوظبي الملتقى السنوي التاسع لـ«ملتدى أبوظبي للسلم» تحت شعار «عولمة الحرب وعالمية السلام: المقتضيات والشراكات» من 14 إلى 16 ربيع الثاني سنة 1444 هـ الموافق لـ 08 إلى 10 نوفمبر 2022م برعاية كريمة متواصلة من سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية والتعاون الدولي بدولة الإمارات العربية المتحدة - حفظه الله - وبإشراف من معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير التسامح والتعايش بدولة الإمارات العربية المتحدة، وبرئاسة معالي العلامة الشيخ عبد الله بن بيه رئيس ملتدى أبوظبي للسلم، رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي.

وقد شارك في أشغال الملتقى مئات المشاركين ما بين وزراء وممثلي منظمات أممية، ومسؤولي منظمات إسلامية، وسفراء وممثلي هيئات حكومية ومراكز ومنظمات دولية، ومفتين، وعلماء، وقضاة، وقيادات دينية، ومفكرين، وشخصيات أكاديمية، ونواب برلمانيين، وغيرهم. كما حظي الملتقى بمتابعة الآلاف لجلساته وأعماله عبر المنصات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي،

وقد افتتح الملتقى بكلمة ضافية لمعالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان عضو مجلس الوزراء، وزير التسامح والتعايش، جاء فيها «إن الإمارات بقيادة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله - تعتز بأن السلام والتسامح والأخوة الإنسانية، والتواصل الإيجابي مع الجميع، هي كلها مبادئ أصيلة في المسيرة الناجحة لدولتنا العزيزة».

كما شارك في الجلسة الافتتاحية أصحاب المعالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، ومعالي حسين إبراهيم طه - أمين عام منظمة التعاون الإسلامي، وسعادة السفير رشاد حسين، السفير المتجول للحريات الدينية في وزارة الخارجية الأمريكية، وغيرهم.

وارتكز موضوع ملتقى هذا العام على السعي إلى تعميق البحث في التحديات الكبرى التي تواجه البشرية في الوقت الراهن، تحديات الأمن والصحة والغذاء والبيئة، متناولاً بشكل خاص إمكانات وتحديات التعاون والشراكة من أجل بناء عالم أفضل لجميع البشر. كما كان الملتقى فرصة لتبادل الآراء والخبرات بين الفاعلين في حقل السلم والتسامح، ولسبر آفاق التعاون لنشر قيم السلم والتعايش والتضامن حول العالم.

وشهد الملتقى في أيامه الثلاثة من خلال جلساته وورشه المتعددة، مناقشة موضوعات من أبرزها:

* التحديات الأمنية الجديدة في ظل التطورات الحاصلة في النظام الدولي.

*التحديات الوجودية للسلام العالمي على مستوى الغذاء والصحة والبيئة.

* دور القيادات الدينية في تحقيق السلم العالمي.

* أهمية الشراكات والتحالفات في حفظ السلم العالمي.

* عولمة الحروب وتحديات الأمن الروحي والنفسي.

كما أقيم على هامش الملتقى معرض للمنظمات العاملة في حقل السلم والتعايش، شاركت فيه نخبة من المنظمات والهيئات من مناطق مختلفة من العالم.

وقد خُص المشاركون في الملتقى التاسع لمنتدى أبوظبي للسلام 2022م، بعد تبادل وجهات النظر في القضايا المدروسة، مستحضرين خصوصية الظرفية العالمية، التي تلوح في أفقها مآلات المجتمع الإنساني مفتوحة على احتمالات مرهوبة ومرغوبة، إلى ما يلي:

أولاً- النتائج:

* التأم مؤتمر هذا العام في وضع دولي مضطرب يزيد من مستوى التحديات التي تواجه البشرية.

* أكدت الأزمات الراهنة والتوترات الحاصلة أن السلم كلّ لا يتجزأ، وأن أي إخلال به ستنعكس آثاره على البشرية في كل مكان.

* بينت الحروب الدائرة في أجزاء من العالم أن نزعات الحرب ما تزال كامنة في النفوس؛ ولذا فإن من مسؤولية القيادات الدينية كما رجال السياسة معالجة هذه الأفكار في النفوس والأذهان قبل أن تخرج إلى العيان.

* نبهت النزاعات الحاصلة على أهمية الحوار لحل المشكلات البشرية ليكون اللسان بدل السنان، والكلام بدل الحسام، أداة لفصل الخصومات وفض النزاعات.

* انضافت الآثار السلبية للجائحة الصحية إلى العوامل المختلفة المسببة لعدم الاستقرار العالمي لينعكس أثرها ارتفاعاً في أسعار الطاقة، وأسعار الغذاء على

المستوى العالمي، فزادت بذلك معاناة الدول الفقيرة، وتضاعف خطر المجاعة في كثير من دول العالم.

* إن هذه التحديات الخطرة التي تواجه البشرية تطرح تحديات تتمثل في العمل على درأ خطر الحروب وتطوير النزاعات المسلحة، وتفعيل دور القيادات الدينية والروحية للإسهام في مواجهة هذه الأزمات وأن تشكل القيادات الدينية قوة اقترح لإيجاد حلول لمشاكل نقص الغذاء والدواء وتوفيرهما للدول الأكثر احتياجاً في ظل التحديات الاقتصادية والتغيرات المناخية، التي تعصف بالبشرية جمعاء.

7. تتجلى عولمة الحرب فيما بات يشهده العالم من نفش لحروب مستعرة في بقاع مختلفة من العالم، كما تتجلى في انتشار وانعكاس آثار هذه الحروب وتداعياتها على باقي دول العالم.

* إن عالمية السلام هي دعوة لمقابلة عولمة الحرب برد فعل مضاد بحيث نزيل العرض ونداي المرض بجهود فض النزاعات وإقامة المصالحات.

* إن دعوة السلم دعوة لازمة وضرورة ملحة، لكن هذه الضرورة تتأكد عندما تشتعل الحروب وتراق الدماء وتستخدم القوة العنيفة بحيث يصبح التهديد عالمياً؛ ولذا فإن عولمة الحرب لا يمكن مقابلتها إلا بعالمية السلام.

* لقد أظهرت جائحة كورونا أهمية التعاون الدولي والشراكات متعددة الأطراف في مواجهة التحديات ذات الطابع المعولم، والتي لا يمكن لبلد بمفرده أو منطقة لوحدها معالجتها أو التعامل معها.

*1. لاشك أن درجة التشابك بين مصائر الشعوب وأوضاعها في سياق العولمة المعاصرة فرضت الشعور الواعي بحقيقة الانتماء للبشرية كعائلة كبرى، وللأرض كوطن أشمل، من خلال تجسيد روح ركاب السفينة الذين يؤمنون بالمسؤولية المشتركة، وبالحرية المسؤولة المرشدة، وبواجب التضامن والتعاون.

*2. إن من وسائل عالمية السلام أن نعمل بعقلية الإطفائيين فنسعى إلى إطفاء الحريق قبل السؤال عن من أشعله أو الحكم عليه أو وصفه أو وصمه بأي جرم، فالمهم أولاً هو إطفاء الحريق وإيقاف القتل والقتال قبل الحكم على الأعمال والأفعال.

*3. إن المنظومة القيمية المشتركة بين الأديان تُشكّل منطلقاً قوياً وطاقاً فريدة للإسهام في تحقيق الخير العام. فالأديان تدعو إلى الرحمة والمحبة والعفو والصفح والغفران والإصلاح بين الناس.

*4. إن القيادات الدينية تخاطب العقول والقلوب وطموحها أن يؤثر هذا الخطاب في الساحة، وتلقاه آذان واعية، وقلوب مصغية؛ ليتحول إلى إدراك يجعل الحكمة أساساً، والتواضع منطلقاً، والمصلحة هدفاً، والترويج لقيم الحياة مبدأً، والقيم النبيلة قواعد للنظام العام.

*5. إننا نعتقد أنه من خلال جهود القيادات الدينية مع غيرها بإمكاننا أن نوصل صوت الحياة، صوت الحكمة للأخذ بحجزات الناس عن القفز إلى أتون الحرب والفناء.

*6. إننا في خضم هذه التحديات القائمة والأزمات الخانقة، ما نزال نرجو ألا تخبو شعلة الأمل، وأن تؤدي الأزمات الحالية إلى رد فعل معاكس من شأنه خلق معاهدات جديدة، ليس فقط للحد من التسليح، بل لنزع الأسلحة النووية من خلال ميثاق دولية تحمي حقوق الدول وتضمن مصالحها دون الحاجة إلى دخول الحروب واختلاق النزاعات.

*7. وختاماً، فإن المؤتمرين يعتبرون جميع المشاركين في جهود السلم والتسامح حول العالم رسل سلام، وسفراء فوق العادة لنشر رسالة السلم والوئام، تعلق البشرية جمعاء على جهودهم وأعمالهم آمالاً عظيمة.

ثانياً - التوصيات

وقد خلص المشاركون إلى جملة من المقترحات والتوصيات:

- * نشيد بنموذج دولة الإمارات في التسامح والتعايش، ونوصي بأهمية الاستلهام بهذا النموذج الذي تتعايش في كنفه عشرات الأديان والثقافات والأعراق المختلفة، ومثالث الجنسيات في أمن وأمان ومودة واحترام.
- * ندعو إلى المزيد من التفكير والعمل المشترك لوضع خارطة طريق للسلم العالمي.

- * نوصي القيادات الدينيّة والنخب الأكاديميّة بإبراز قيم وجهود السلم وإيصال رسالة السلام إلى مجتمعاتهم في مختلف القارات وبجميع اللغات في مناشطهم المختلفة.
- * ندعو أن يتم التواصل مع شركات إنتاج المحتوى الإعلامي والرقمي لإنتاج مواد جذابة حول السلم والتعايش السعيد للوصول بجهود السلام إلى شرائح واسعة من المجتمعات حول العالم.
- * نقترح القيام بسلسلة من الندوات والورش الأكاديمية مع الجامعات المرموقة حول العالم لتعميق البحث العلمي في مفاهيم السلام والتعايش بين البشر.
- * نوصي بتعزيز الشراكات والتعاون، وتنسيق الجهود بين الهيئات والمنظمات العاملة في صناعة السلم والتسامح والعيش المشترك حول العالم.
- * ندعو إلى التعريف وتسليط الضوء على النماذج الإيجابية، والقصص الملهمة، والمبادرات الناجحة في مجالات السلم والمصالحات وميادين البيئة والأمن الغذائي والصحة على مستوى العالم.
- * نوصي أن تسهم القيادات الدينية والفاعلين المجتمعيين في التوعية والبحث على تحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.
- * ندعو إلى تعزيز وتفعيل دور الشباب والنساء في بناء السلم المحلي والعالمي وفي الإسهام في رسم السياسات وبناء الشراكات لتعزيز استقرار المجتمعات وحفظ السلم فيها.
- * نوصي بإدراج قيم السلم والتسامح في مناهج التربية والتعليم على المستوى العالمي، والتعاون مع المؤسسات الدوليّة ذات الاختصاص.
- *1. ندعو إلى تعزيز الشراكات بين المنظّمات العاملة في مجال السلم والمؤسسات الإعلامية العالميّة.
- *2. ندعو إلى تعاون متعدد التخصصات لإعطاء العناية اللازمة للتعامل مع التحديات النفسية والروحيّة التي تسببها النزاعات والحروب.
- *3. نوصي باعتماد الحوار كوسيلة وحيدة لحل النزاعات والصراعات في العالم. والاستناد إلى قوّة المنطق لا إلى منطق القوّة.

وفي الختام يوجه القادة الدينيون والعلماء والمثقفون نداءً حاراً باسم الإنسانية لإيقاف الحروب أو التهديد بها في النزاعات العالمية وبخاصة إيقاف الحرب الدائرة بين جمهورية روسيا الاتحادية وجمهورية أوكرانيا وإيقاف الاقتتال بين البلدين صوناً لدماء الشعبين ومحافظة على السلم العالمي واستجابة لتمنيات العالم ودعوته واللجوء إلى الحوار والوسائل السلمية لحل المشاكل والاشكالات بين البلدين الجارين والاحتكام إلى العقل والحكمة والمصلحة.

ويطيب للمشاركين في الملتقى التاسع لـ «منتدى أبوظبي للسلام» أن يعبروا عن صادق شكرهم وجزيل ثنائهم لدولة الإمارات العربية المتحدة على رعايتها الكريمة، ودعمها المتواصل للمنتدى، ويرفعوا عبارات امتنانهم إلى صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وإلى أصحاب السمو حكام الإمارات، كما يتوجهون بعظيم الامتنان إلى سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية والتعاون الدولي، على كريم عناية وجميل رعايته لأعمال المنتدى، داعين الله لهم جميعاً بالتوفيق والسداد والعون، وأن يحفظ دولة الإمارات قيادة وشعباً ويديم عليها سابغ نعمه وأفضاله .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وحرّر بأبوظبي في 16 ربيع الثاني سنة 1444 هـ الموافق لـ 10 نوفمبر 2022 م

لجنة البيان الختامي.



في ساحة الذكر: أنت صوفي؟!

بقلم دكتور سيد مندور

بعد انتهاء الصلاة، وفي يدي سبحتي، نظر إلى شاب في مقتبل شبابه، له لحية خفيفة، وقال لي انت صوفي؟! فتعجبت من سؤاله، وقلت له: إيه سبب السؤال؟! قال: لأنك ماسك سبحة! فقلت له: يعنى إيه صوفي؟! فنظر إلى متعجبا وقال: لأنني قرأت على الفيس واليوتيوب وبعض القنوات الفضائية، ان الصوفية كفر وشرك! قلت له سبحان الله! هل تعرف ماذا أقول وأفعل بالسبحة؟! قال بتذكر كان الصحابة يحملون سبحا للذكر ويسبحون بها الله تعالى؟! قلت: نعم، ألم تسمع حديث سيدنا رسول الله ﷺ، وهو يخبر أصحابه عن سماع خطبة الجمعة ويقول: «من مس الحصا فقد لغا، فما معنى مس الحصا؟ وماذا كانوا يفعلون به إنهم كانوا يسبحون ويذكرون الله تعالى عليه، فقد علمهم النبي ﷺ أن هناك عددا في الذكر والتسبيح، فمثلا بعد الصلاة يسبحون الله ثلاث وثلاثين، ويحمدون الله مثل ذلك، ويكبرون مثل ذلك، أي أن هناك أعدادا للذكر، فكانوا يجمعون الحصا لذلك، فبدلا من الذكر على الحصا تم عمل السبحة، فليس في ذلك شئ من البدع، فهذه السبحة تعينك على الذكر والعبادة.

ثم قال لي كلمني عن التصوف قلت التصوف له تعريفات كثيرة فالتصوف هو أعلى مراتب الدين فهو (مقام الإحسان) أي التخلق بأخلاق الله ورسوله وصفوة عباده المقربين، مجاهدة النفس للوصول إلى رياض القدس، الخروج من الدنيا اختياراً قبل أن تخرج منها اضطراراً متابعة الحبيب الأعظم ﷺ، في الأقوال والأفعال والاحوال شهود الحق في كل شي وقبل كل شئ حتى يصل العبد إلى مقام (بي يسمع

وبي يبصر) المشار إليه في الحديث القدسي، تحقيق مقام العبودية أي تكون عبد الله في جميع حالاتك وليس للعبد أن يخالف مولاه أبدا .

التصوف هو حالة وجدانية يعيشها الإنسان متوجها قلبه بالصدق والإخلاص لله رب العالمين مدوامة الذكر والشكر فهما جناحا الوصول إلى الله، اللين والرفق في معاملة الخلق لأنهم صنعة الحق، إنزال الفرائض إلى القلب قبل إنزالها على الجوارح، لأن كل ما فرضه المحبوب يسعد به القلب، التبري من حولك إلى حول الله وقوته، أن ترى نفسك أقل الناس في هذا الكون وجميع الناس أفضل منك حتى لو كنت مقيما على الطاعات بالليل والنهار، عمارة الكون وصولا لمقام الخلافة الإلهية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ التعلق بالله وإخراج كل ما سواه من القلب، النظر إلى أحوال الأكابر في عباداتهم لله ومحاولة السير على نهجهم، الادب ومن ليس عنده أدب فقد ظل الطريق.

قال لي كل هذه التعريفات عن التصوف معناه التصوف هو روح الإسلام إسمح لي يا شيخ أن أواصل حديثي معك في لقاء قادم إن شاء الله .

قلت: فتح الله عليك، أذكر وأقول لا إله إلا الله، فهل من يقول لا إله إلا الله يكون كافرا أو مشركا؟!

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بية (رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي)

* تنبيه المراجع في تاصيل فقه الواقع

* مشاهد من المقاصد

* صناعة الفتوى وفقه الأقليات

* مقاصد المعاملات ومراصد الوقعات

* سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات

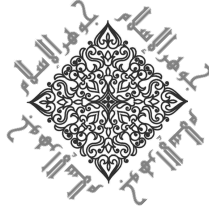
* توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال

الى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم به فضيلته

مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم.

بارك الله في جهوده وامد في أنفاسه ونفع بعلمه الامة انه سبحانه وتعالى سميع

مجيب.



في وداع فضيلة الشيخ عثمان بطيخ رحمه الله (صاحب الخلق الرضي والمشرب الصفي)

بقلم محمد صلاح الدين المستاوي

منعني ضعف التغطية لصفحة الفايسبوك من ان ابادر بخط كلمات اودع بها فضيلة الشيخ عثمان بطيخ مفتي الجمهورية رحمه الله واجزل مثوبته واسكنه فراديس جنانه الذي تربطني به علاقة اخوة واحترام تعود إلى سنوات مديدة لم يكن تواصلنا فيها مكثفا ولكننا لم نكن بعيدين عن بعضنا البعض.

* نلتقي في ا لتمسك بالثواب والعمل على ترسيخ خصوصيات هذه الربوع (الإسلام الزيتوني الاشعري المالكي الجنيدى) بكل مميزاته التي تابی كل ماهو دخيل (سواء كان تغريبا أو تبعية لمن لا يشاركنا في تلك الخصوصيات).

*عمل فضيلة الشيخ عثمان بطيخ رحمه الله وفق هذا النهج الذي اختاره واقتنع به ومضى فيه بخطى ثابتة هادئة في مسيرته العلمية والوظيفية (قاض ثم ملحقا بالادارة العامة للشؤون الدينية ثم استاذا في الكلية الزيتونية التي تخرج منها مجازا ثم حاملا لشهادتي دكتوراه المرحلة الثالثة ودكتوراه الدولة و كان من الطبقة الاولى التي حازت هذه الشهادات العليا وقد تتلمذ صحبة صفوة من زملائه على البقية الباقية من شيوخ الزيتونة الاعلام البررة) الشاذلي النيفر وبقية الشيوخ النيفرين والحبیب بلخوجة وعبد العزيز بن جعفر و بلقاسم بن خضر والمختار بن محمود والعربي العنابي واحمد بن ميلاد ومحمد الاخوة والحبیب المستاوي وغيرهم رحمهم الله).

*ولما بلغ سن التقاعد من جامعة الزيتونة انتدب للعمل بدائرة الشؤون الدينية برئاسة الجمهورية ليتوج مسيرة عمله الوظيفي بتولي خطة مفتي الجمهورية خلفا لفضيلة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله.

*والى جانب ذلك باشر فضيلته خطة امامة الخطابة في جامع سيدي محرز رضي الله عنه كما باشر خطة الامامة (للصلوات الخمس بجامع الزيتونة المعمور) وخطة الخطابة في جامع العابدين (وكان اول خطبائه). وسمي عضوا في المجلس الإسلامي الاعلى.

*وبعد 14 جانفي اعفي من خطة الافتاء لتسند له بعد ذلك وزارة الشؤون الدينية لفترة قصيرة ولكنها كانت مليئة بالمصاعب تجاوزها رحمه الله بالكثير من الصبر والتحمل لما لحقه من اذى إلى ان اعيد إلى الخطة الاخيرة في مسيرة حياته الوظيفية وهي خطة الافتاء التي بقي فيها إلى ان وافته المنية رحمه الله.

*عرفت فضيلة الشيخ عثمان بطيخ رحمه الله في تونس وحارجها والتقيت به عديد المرات في المقام الشاذلي في موسم الزيارات السنوية الصيفية التي يحرص على ان لا يغيب على بعض جمعها

*وعرفته في جلسات المجلس الإسلامي الاعلى والتقينا في مناسبات اخرى خارج تونس في الدروس الحسنية الرمضانية بالمغرب وفي دورات منتدى السلم في ابوظبي وفي دورات مجمع الفقه الإسلامي الدولي وفي كل هذه المناسبات كان فيها رحمه الله مثال الخلق الرضي والادب الرفيع والتواضع غير المتكلف يبادر بالتحية المشفوعة بالابتسامة لاتسمع منه كلمة مؤذية وكان إلى جانب ذلك مثالا للاعتزاز بالهوية التونسية بكل خصوصياتها شكلا ومضمونا لايقبل النيل منها من اي طرف.

* رحم الله فضيلة الشيخ عثمان بطيخ واسكنه فراديس جنانه جزاء ما جبل عليه من فضل ولطف وعفة وبر بوالدته وهو ما كان وراء كل ما اتاه الله من تدرج في سلم المعالي وجعله يحظى باحترام الجميع حتى اولئك الذين اذوه فقد قابل منهم ذلك بكظم الغيظ والعفو ليكون كما وعد الله امثاله ممن يحبهم الله (والله يحب المحسنين) وانا لله وانا اليه راجعون.



خطبة الجمعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة والقدوة والأسوة لمن يحبون الله

الحمد لله الرحيم الرحمن ذي الفضل والإحسان مقسم الرحمة بين خلقه من حيوان وإنس وجان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان الذي وعد عباده بالتوبة والغفران لمن بارزه منهم بالعصيان. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي الهدى والرحمة المهداة، من أرسله الله للناس كافة رحمة للعالمين وبالمؤمنين غفورا رحيمًا.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأكوان وفخر ولد عدنان وعلى آله الكرام وصحابته المتقين الأخيار، أما بعد.

أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها خير ما تفتتح به المواعظ وخير ما يذكر به المؤمنون بعضهم البعض، فلا زاد يبقى إلا زاد التقوى، فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

لا يزال حديثنا موصولاً في الشهر الذي انقضى، شهر ربيع الأول والشهر الذي أهل علينا هلاله ربيع الثاني، في سيرة وشمائل الحبيب المصطفى والنبي المجتبي عليه الصلاة والسلام نستلهم منها الدروس والعبر والمواعظ وتتخذها نبراساً نهتدي به نحرز به على مرضاة الله ومحبة لنا وهو جل وعلا، القائل في كتابه العزيز مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وقد نوهت في أكثر من مرة أن الأمر بالاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتجاوز إتباعه في أداء الشعائر والمناسك فذلك من تحصيل الحاصل لا يرضى الله

بسواه مما فيه ابتداء واتباع للهوى، إذ الشأن في العبادات التلقي والاتباع، فهي حق الله على عباده الذي لا يتأتى إلا عن طريق نبيه ورسوله عليه الصلاة والسلام.

والاتباع الذي يتحقق به للمؤمن محبة ربه له هو الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحركات والسكنات وسائر التصرفات في المعاملات مع جميع من للمسلم به صلة وعلاقة بالرحم والنسب والمصاهرة والمجاورة والمشاركة والمعاشية (آباء وأمهات وأزواج وأعماما وأخوالا وبقية ذوي الأرحام وأجوارا) (ألا وإن أربعين دارا جار) و(لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) سواء أكان هذا الجار جارا قريبا أو جارا من المسلمين أو من عامة الناس وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإساءة والأذى للجار فقال (لا يؤمن بي من لا يأمن جاره بوائقه) أي شره وأذاه، وكذلك مع من يشترك معه المسلم في العمل وطلب الرزق أو من يتعامل معه في البيع والشراء وسائر المعاملات أو من يتعاش مع ويختلف عنه في الدين ولكنه لا يناصره العداء ولا يؤذيه ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾.

بل أكثر من ذلك فإن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نحن مأمورون باتباعه يتجاوز ما ذكرنا من بني آدم إلى ما خلق الله من حيوان وما أنبت من نبات وأشجار وما أجرى من أنهار وما أنزل من غيث نافع - نسأل الله أن لا يحجبه عنا وأن يرسله علينا مدرارا يعم السواقي والروابي يرتوي منه الإنسان والحيوان - جعله الله أصل الحياة مصداقا لقوله جل من قائل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.

أمرنا الله أن نشكره على هذه النعمة وعلى كل نعمة وهدانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نرشد استعماله وأن لا نسرف فيه ولا نبذره ولو كان ذلك في الموضوع. إنه هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تطفح به سيرته. هدي قويم فيه صلاحنا وفلاحنا وفيه مرضاة ربنا، إنه هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا نعرف منه إلا النزر اليسير وحتى ما نعرفه منه فإننا في الأغلب نخالفه بما نأتيه من تصرفات.

انه فساد وإفساد في الأرض حذرنا الله منه في كتابه العزيز في قوله جل من قائل ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ سورة الروم: 41.

(فقد ظهر الفساد في البر والبحر كالجذب وانحباس الأمطار وكثرة الأوبئة وذلك بسبب المعاصي التي يقتربها الناس وما يأتونه جهارا مما يتنافى مع مكارم الأخلاق وما يأمر به الله من حياء ورحمة ورفق ولين فيصيب الله بعقوبته التي تعم العاصي والمطيع مصداقا لقوله جل من قائل ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: ٢٥ .

وهذه الفتنة وهذا العقاب من الله هو لا تنهاك حرماته فلا تصيب الظالم فقط بل تصيب الظالم والساکت على الظلم غير الناهي له المحذر منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) رواه أبو داود.

فحنانيك يا ربنا لطفك وعفوك فإننا نعوذ بك مما اقترفته أيدينا وما بارزناك به من المعاصي والذنوب، حنانيك لطفك بالأطفال الرضع والمشايخ الرقع والبهائم الرتع وارزقنا يا الله اتباع ما ارشدنا إليه نبيك ورسولك عليه الصلاة والسلام من هدي قويم فيه مرضاتك وفيه صلاح أحوالنا في عاجل الحياة الدنيا.

لقد أمر نبي الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام المسلم أن يسلم الناس من لسانه ويده وأمر بالرحمة للضعيف الذي تقدمت به السن من والدين ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ والرحمة بسواهم من بقية الناس والرحمة بالصغار لا سيما الأيتام من فقدوا على صغر سنهم آباءهم وأمهاتهم، فقال جل من قائل لرسوله صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم بأنه هو ورسول الله في تَقَهَّرُ ﴿وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿وأشار إلى إصبعيه وقال (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه). ووعد بالأجر والثواب لمن مسح على رأس يتيم حنوا وعظفا ورحمة واهتداء بهديه عليه الصلاة والسلام بالثواب والأجر بعدد شعرات رأس ذلك اليتيم.

أين نحن أيها المسلمون من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة مع الأيتام ممن هم بيننا من ذوي قرابتنا ورحمنا (والرحمن من الرحمن أوكل الله به ملكا ينادي اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني)؟

أين نحن مما وعدنا به الله إن نحن تحلينا بالرحمة بالضعاف من خلق الله كبارا مسنين أو صغارا أيتاما؟

أين نحن من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرحمة وهي بالعشرات مما لا نستطيع أن نحصيه ونأتي عليه في خطبة جمعة؟

فقد عكف على جمعها وشرحها كبار العلماء الأمة واختاروا منها ما أطلقوا عليه الأربعين مثل ما فعل الإمام شمس الدين ابن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي المتوفى في منتصف القرن العاشر للهجرة 953 هـ والذي ضم أربعين حديثا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء) وفي رواية (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) والحديث الثاني من هذه الأربعين المباركة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنه وعن أمه فاطمة الزهراء (بضع رسول الله وأبيه أبي الحسنين) وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس فقال (أي الأقرع) إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (من لا يرحم لا يرحم) رواه البخاري.

إنها درر وغرر من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم العملي المجسم لما أمر به من قال في حقه ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولم ينل هذه الدرجة أحد سواه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إنه عليه الصلاة والسلام كان بحق كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه قالت (كان خلقه القرآن) وهو عليه الصلاة والسلام من قال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وأخبر بمن يكونون أقرب الناس منه مكانا ومنزلة في الجنة قال (أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)

أين نحن منه زوجا يساعد زوجاته فقد كان يقيم بيته ويخيط ثوبه؟

أين نحن من خلقه مع أصحابه كان لا يتعالى ولا يتكبر ويأبى أن يخدم بل يشاركهم الأجر ويتناول حاجته بنفسه ويقول (صاحب الحاجة أولى بحاجته)؟

أين نحن من عفوه وصفحه ودفعه بالتي أحسن إذ لم يزد يوم الطائف لمن أذوه وأخرجوه في الرمضاء على أن قال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) ولم يزد يوم الفتح على أن قال لقريش التي وقفت بين يديه (إذهبوا فأنتم الطلقاء)؟

دعا إلى الله بالحكمة وبالموعظة الحسنة وجادل بالتي هي أحسن .دينه وخلقه الصفح والعفو والدفع بالتي هي أحسن مصداقا لقوله جل من قائل ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

إنك يا رسول الله لأنت الذي على خلق عظيم، وإنك للإنسان الكامل الذي لم يرتق إلى درجته أحد من عباد الله بما في ذلك الأنبياء والمرسلون عليه السلام.

ما أحوج المسلمين بالخصوص والناس أجمعين أن ينهلوا من معينك العذب وأن يكون هواهم مع ما جئت به وما جسمته وكنت فيه القدوة والأسوة الحسنة للجميع مما لم نأت منه في هذه الخطبة إلا بالنزر اليسير والقليل جدا منه مما تطفح به كتب شمائل وخصائص هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وجازى الله علماءنا الأعلام من سلفنا الصالح الذين دونوا لنا هذه السيرة العطرة في مجلدات ومصنفات وفي دواوين شعر في مدحه عليه الصلاة والسلام لا تزال تشنف بها الأسماع في الأفراح وحتى في الأتراح باعتبار أنها كلها هدي وكلها دين وكلها نزول بالوحي السماوي إلى الواقع المعيش الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة ورسم به عليه الصلاة والسلام للمؤمنين خارطة الطريق التي عليهم أن يتبعوه فيها إذا كانوا صادقين في حب الله فقد قال جل من قائل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم إنه هو الغفور الرحيم.

جامع البحيرة، تونس، الجمعة 2 ربيع الثاني 1444 هـ / 28 / 10 / 2022 م.

الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

يسألونك قل

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي

حول كيفية الاغتسال من الجنابة أو غيرها

السؤال: يقول السائل الكريم: انا شاب على أبواب الزواج وأقوم بواجباتي الدينية أتساءل هل ان بعد مباشرة الزوج لزوجته يجب عليه الغسل أم لا؟ أرجو منكم مدي بكيفية الغسل.

الجواب:

نعم يجب الغسل على من باشر زوجته أو احتلم أو خرج منه المني وكيفية الغسل من الجنابة هي ان يحضر الانسان ما يكفيه من الماء ان لم يكن الاغتسال في بيت حمام (بانو) فيغسل يديه ثلاث مرات إلى الكوعين (المعصمين) ثم يغسل النجاسة ومحل البول والغائط بنية رفع الجنابة ثم يتوضأ وضوء الصلاة بنية رفع الجنابة أيضا فيغسل يديه إلى الكوعين مرة ثم يضمض مرة ثم يستنشق الماء مرة ثم يغسل وجهه مرة عرضا من وتد الاذن إلى وتد الاذن الاخرى وطولا من منابت شعر رأسه المعتاد إلى أسفل الذقن (اللحية) ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثم يده اليسرى إلى المرفق مرة لكل واحدة من يديه ثم يمسح رأسه مرة ويرد المسح من الخلف إلى الأمام ثم يغسل رجله اليمنى إلى كعبيه مرة ثم اليسرى كذلك إلى كعبيه مرة ثم يبيل يديه فيخلل بهما شعر رأسه (أي يحركه) ثم يأخذ ثلاث حفنات من الماء فيفيضها على رأسه ويخلل شعر رأسه، ثم يغسل رقبته وما تحت ذقنه ثم يغسل جنبه الايمن من امام ومن خلف إلى كعبيه ثم جنبه الايسر كذلك من امام ومن خلف إلى كعبيه مع ذلك في كل ما يغسله وهو تمرير اليد مع الماء على ظاهر الجسد حتى يعم كل الجسد بالماء ويتتبع في اثناء الغسل المواضع التي لا يصل اليها الماء عند افاضته كالسرة

والابطين وطوايا البطن وما تحت الركبتين وفي هذه الاثناء يحتاط المغتسل من مس ذكره بباطن كفه أو جنب اصابعه فهذه هي كيفية الغسل المستحبة وله ان يصلي بهذا الغسل ان حضر وقت الصلاة. ومن الله التوفيق.

أول وقت صلاة الجمعة:

السؤال: يقول السائل الكريم: بني وشيد منذ عدة سنوات جامع وقد وقع لنا اشكال في هذه المدة ذلك ان الامام الخطيب يبدأ صلاة الجمعة من منتصف النهار وينهيا قبل الساعة الواحدة بعد الزوال وذلك حفاظا على وقت العمل للعديد من المصلين لكن تبين بعد المراجعة الدينية ان الخطيب كان مخطئا في ذلك وقد اعيد إلى الوقت الصحيح وهو ان بداية دخول وقت الصلاة يبدأ من وقت دخول صلاة الظهر وهو ما أثار العديد من التساؤلات فما هو الصحيح وما هو الخطأ؟ وما هو مآل الصلوات التي أدت سابقا من قبل المصلين؟ هذا مع بيان انه تقام ثلاث صلوات للجمعة في ثلاثة مساجد بداية من منتصف النهار بالجامع المشار اليه إلى العصر

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان ائمة المذاهب الاربعة مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل قد اختلفوا في اول دخول وقت صلاة الجمعة فوقت دخول صلاة الجمعة كوقت دخول الظهر من الزوال إلى الغروب ووقعها في هذا الوقت المذكور شرط من شروط صحتها والاصل في اول وقت صلاة الجمعة ما ورد في صحيح البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس اي عن كبد السماء وبهذا القول قال ابو حنيفة والشافعي ان وقت صلاة الجمعة يبدأ من الزوال وقال الامام احمد بن حنبل تصح صلاة الجمعة قبل الزوال والافضل ان تصلى بعده. هذا ما قاله فقهاء المذاهب الاربعة

المصباح المنير

بقلم صالح الحاجة

حتى لا ننسى وحتى ننعش ذاكرتنا الوطنية.. يجب ان نتذكر ان المولد النبوي ليس مجرد ساعة من زمن ناكل فيها العصيدة سواء كانت «زقوقو» أو لم تكن.. ثم السلام عليكم.. وننسى الموضوع.. وكأنه لا مولد.. ولا ذكرى من اعز الذكريات.

ان الحكاية اعظم واكبر واغلى من العصيدة والاستهلاك.. والبلع.. والهضم.. لناكل.. ولنحتفل.. ولنفرح.. ولنتبادل التهاني.. ذلك امر مستحب.. وجميل.. والفرح دائما خير وابقى من «القينية» و«الكبي» والاحزان والاتراح.. والبكاء.. والنذب واللطم.. والعياذ بالله.

ولكن حبذا لو نضيف إلى الاحتفالات مسالة في غاية الأهمية..

حبذا لو نضيء بداخلنا مصباح الإسلام الذي جاء به رسولنا الكريم العظيم في لحظة من لحظات الابداع الإلهي العظيم أشرقت فيها شمس الحرية والكرامة الحقيقية على العرب وهم في أسوأ واردا واضعف درجات الحضارة.

لقد كانوا في اسفل السافلين مقارنة بالأمم الأخرى في ذلك الوقت.. واذا برسول عزيز يبعث فيهم... واذا بقائدهم الذي جاء ليتمم مكارم الاخلاق.. وجاء هاديا وبشيرا ونذيرا.. يضيء بداخل كل عربي على مر التاريخ مصباح النور والهداية والاستقامة والاخلاق.. «وانك لعلى خلق عظيم»... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾...

اذن .. إلى جانب العصيدة يجب ان نتفقد في يوم مولده ذلك المصباح... نتفقده بالعتاية والرعاية والتنشيط والتحصين والتجديد والتلميع... اذن أضيئوا هذا المصباح المنير بداخلكم.

انه المصباح الذي يحرككم من الكراهية.. والبغضاء والحقده... والرغبة في الانتقام.. والتدمير....

انه يطهركم من كل السموم التي تعبت بالإنسان فتحوله إلى حيوان شرس.. يمارس القتل.. والتخريب والعنف والتطرف والغلو في الدين... تحرروا.. تطهروا... والمولد فرصتكم فاغتنموها.

eschatologiques de ce monde, et par la conscience de la crise spirituelle qui touchent les hommes et les femmes, à plus fortes raisons en ces temps qui nous rapprochent de la fin.

Le Prophète Muhammad, qui fut « aimé de Dieu » (*habîb Allâh*), est le lieu de passage entre l'amour de Dieu pour les hommes et l'amour des hommes pour Dieu. Il répond ainsi à l'ordre coranique : *Dis : si vous aimez Dieu, suivez-moi ! alors Dieu vous aimera.*⁽⁴⁾

Il s'agit alors de découvrir et de suivre la maîtrise prophétique qui sait guider et éduquer à la recherche de l'Amour divin. Du vivant du Prophète, l'obéissance du musulman à l'autorité spirituelle et temporelle du Prophète passait par une communication directe. Depuis le retrait de sa présence physique en ce monde, cette obéissance se traduit par une recherche de conformité et d'adéquation avec le comportement et l'esprit du Prophète.

Il s'agit là du secret et de la vertu opérante de la *Sunna*, le modèle et la méthode du Prophète, en dehors duquel nul ne peut vraiment se dire musulman et croyant. On pourrait se demander comment le musulman peut-il se référer au messenger de Dieu si la manifestation de ce dernier s'est retirée du monde. Comment le musulman peut-il se soumettre à une vérification traditionnelle avec ce modèle et cette méthode prophétiques qui, sur le plan extérieur, ne correspondent pas aux conditions spatio-temporelles ? Comment le musulman peut-il croire et obéir au Coran sans le Prophète qui récite la révélation, sans le Prophète qui exprime le langage sacré du renouvellement de la révélation, sans le Prophète qui synthétise la pureté primordiale et le caractère de la révélation appliquée à chaque instant et en chaque aspect de la vie ? Dieu et Son Prophète savent mieux ! répondent les maîtres musulmans. Tel est l'islam, telle est la soumission, l'acceptation, l'obéissance et la foi du musulman, croire que Dieu et Son Prophète savent mieux comment guider et correspondre aux épreuves spirituelles de la vie consacrée.

Suivre la *Sunna* du Prophète signifie vivre ici-bas selon une dépendance providentielle vis-à-vis de la prophétie de Dieu, ouvrant l'accès à une intelligence supérieure opérative, qui réalise la fonction de l'Homme comme lieutenant de Dieu sur Sa terre, uniquement selon Sa volonté et Sa science incommensurables.

wa Allâhu wa rasûluhu a'lam!

(4) Coran, 3 : 31.

se définir comme un simple serviteur de Dieu. Sa vie, ses enseignements, ses qualités, ses approbations comme ses silences constituent ce qu'on appelle la *Sunna nabawiyya*, la « pratique prophétique », qui fait partie intégrante du Message divin, comme un commentaire vivant du Coran. Lorsqu'on demanda à Aïsha, l'épouse du Prophète, de décrire ce dernier, elle répondit : « Son caractère était comme le Coran », reflétant une transparence totale à la révélation divine.

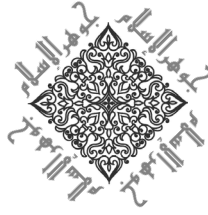
Le messenger de Dieu aide à faire le lien entre le Livre de la Révélation (le Coran) et le Livre de la Création (l'existence). C'est lui qui orchestre le rythme de la lecture, avec ses liaisons et ses pauses, et qui apprend à purifier la vision et le cœur :

Dieu a certes accordé un don [considérable] aux croyants en leur envoyant un messenger issu d'eux-mêmes qui leur récite Ses signes, les purifie et leur enseigne le Livre et la sagesse, alors qu'ils étaient auparavant dans un égarement manifeste.⁽³⁾

Faire preuve de modération dans la vie matérielle, agir pour plaire à Dieu seul, chercher la certitude et la connaissance de Dieu, avoir conscience de la Présence divine dans chaque aspect de la vie, se montrer reconnaissant envers Dieu et L'invoquer en toutes circonstances, purifier son âme, craindre Dieu et placer sa confiance en Lui, être sincère, loyal, honnête, miséricordieux, indulgent, patient, humble avec les autres, faire preuve de douceur et de bienfaisance, nourrir autrui, saluer, rendre visite aux malades, assister aux funérailles, respecter ses voisins, honorer les personnes âgées, pardonner et réconcilier les gens, se montrer généreux, être noble de caractère et tolérant, réprimer sa colère : ce sont là quelques-unes des qualités éminentes manifestées par le Prophète, lui qui disait n'avoir été envoyé que pour « *parachever les nobles caractères* », et auxquelles il est demandé à tout musulman de se conformer dans la mesure de ses possibilités.

Le Prophète Muhammad n'était qu'un être humain, certes, mais il était tel un joyau parmi les pierres. Transmetteur fidèle et interprète inspiré de la Parole divine, les musulmans voient en Muhammad le modèle parfait du serviteur et ami de Dieu, qui guide et inspire la pratique et le comportement de ses disciples proches ou lointains. Mais la conformité au modèle prophétique ne saurait se réduire à une imitation aveugle et purement extérieure. La *Sunna Muhammadiyya* est l'expression symbolique d'un ordre supérieur. Dans le témoignage vivant du Prophète, l'intérieur et l'extérieur forment un tout qui exprime l'intégralité de la Vérité à chaque niveau et dans chaque aspect. Toutefois, le musulman n'a pas à singer le Prophète pour lui obéir et se conformer véritablement à lui ; il doit apprendre à connaître et à suivre la science prophétique de l'extérieur et de l'intérieur, selon une hiérarchie des plans, priorités et proportions, lesquels sont nécessairement déterminés par les conditions

(3) Coran, 3 : 164.



Muhammad, serviteur et messenger de Dieu *que la grâce et la paix divines soient sur lui !*

Abd-al-Wadoud Gouraud⁽¹⁾

Pour l'islam, Muhammad est le « Sceau de la prophétie », le dernier prophète et messenger de Dieu envoyé avant le Jour de la Résurrection. Les musulmans croient que le rang du Prophète est si éminent aux yeux de Dieu qu'il sera autorisé à intercéder en faveur des pécheurs dans l'Au-delà. Le Coran guide vers la perfection et le Prophète en est la personnification. Le fidèle musulman ne saurait donc obtenir l'agrément divin qu'à travers la conformité au modèle prophétique, intérieurement et extérieurement :

Vous avez dans le Messenger de Dieu un excellent modèle, pour quiconque espère en Dieu et dans le Jour dernier, et invoque Dieu de façon abondante.⁽²⁾

Placer son espoir en Dieu et dans le Jour dernier, en aspirant à Sa rencontre, sans s'appuyer sur nos propres efforts ou nos œuvres, mais en comptant uniquement sur Sa miséricorde, et en Lui rendant grâce, quelles que soient les circonstances, heureuses ou malheureuses, dans l'aisance ou dans l'adversité ; invoquer le saint Nom d'Allâh en abondance, dans tous les faits et gestes, avec la langue et la présence du cœur absorbé dans Son rappel. Ce sont là les traits essentiels du modèle prophétique décrit ici par le Coran.

Le Prophète incarne la réalité de l'Homme parfait (*al-insân al-kâmil*), la manifestation de l'Homme dans son sens universel et intégral, mais il aimait

(1) Membre de l'Institut des Hautes Etudes Islamiques (IHEI) et de l'Institut Supérieur de Théologie Musulmane (ISTM, grande mosquée de Lyon), et membre d'honneur de l'Association internationale des diplômés d'al-Azhar.

(2) Coran, 33 : 21.

SOMMAIRE

Muhammad, serviteur et messenger de Dieu 3

Abd-al-Wadoud Gouraud



JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 9/10 - 21ème année